
أنا أفكر
iThink
magazine مجلة
38
المعتدلون أشد خطراً
الطبيعة تتحكم بالحكمة الالهية
متلازمة المسيح
18+
FOR ADULTS ONLY

المعتدلون أشد خطراً ...

ربما لا يخلو أي نص ادبي من حكم و مواعظ و امكانية اجتزاء جمل ناعمة و cute و تصلح لأن تؤخذ كحكم في الحياة .
و لن نجافي الواقع اذا قلنا ان هذه الامكانية موجودة حتى في نصوص مثل أليس في بلاد العجائب و حتى قصة ليلى و الذئب .
لكن هل من الاخلاقي أن نجعل الناس يصدقون أن ليلى أو هامدي دامتي هم شخصيات حقيقية لمجرد وجود تلك الجمل المفيدة ضمن تلك القصص .
هذا ما يفعله حرفياً المعتدلون من كل الاديان و خصوصاً الطبقة الجديدة (المقرفة) من المسلمين المعتدلين .
لما المعتدلون أشد خطراً من المتشددين ؟
ببساطة لأن تسويق فكرة قاتل و كارهه و حمقاء و خرافية عن طريق ايجاد (بعض) الجمل الجيدة هنا و هناك هو أمر أحقر من تسويقها كما هي .
الحقبة النازية كانت تشمل ثورة صناعية و انتعاش اقتصادي فتصوروا أن يقوم احدهم بالتسويق للنازية بذكر فقط تلك الامور الايجابية فيها و تصوروا أن نجح بأقناع جماهير عريضة بالنازية بسبب تلك الطريقة .
هذا بالضبط ما يفعله الوسطيون و المجددون الاسلاميون و المسيحيون و اليهود .
يسوقون فكرة بغاية الاجرام من خلال التركيز على تفاصيل تافهة ليست حتى من صلب عقائدهم و يجرون الأجيال لحب تلك الاديان بهذه الطريقة .
ثم يتركونهم يكتشفون البقية و بذلك يضمن أن تكون هناك اجيال و اعداد كافية دائماً لتنفيذ الآيات التي تستحقر المرأة و تحض مباشرة على قتل المختلف و التنكيل به و تؤدي الى تدمير الطفولة و الحضارة و العلم .
لهذا هم اشد خطراً ...

فعدو واضح افضل مئة مرة من عدو جبان يختبئ وراء اشكال حضارية و حديثة و جميلة للقضاء على كل ما هو حضاري و حديث و جميل .
للأسف انساق الكثير و خدع الكثير بأمثال هؤلاء المجددين الوسطيين و حتى من الملحدين انفسهم .
فالمظهر الجميل و بعض كلمات التي تمدح الملحدين جعلتهم يظنون أن هؤلاء الشيوخ ربما يكونون ملحدين ايضاً .
سذاجة بكل بساطة ...
لا تنسوا أن هؤلاء يؤمنون بنفس الخرافات التي يؤمن بها اجهل مسلم و يؤمنون بنفس الكتاب الذي يحلل و يحض على القتل بشكل مباشر ...
مشكلتهم بالضبط انه يجب توفر شروط لذلك القتل اكثر مما يطلبه عادة بقية الشيوخ أو أن يخفوا تلك الامور المنفرة (مؤقتاً)
المعتدلون أخطر لأنهم يصلون الى الشريحة الاوسع و يسوقون سمومهم المغلفة بأغلفة لماعة و حضارية .

هم أخطر ببساطة لأنهم يستعملون العلم لنشر الخرافة ...

عيشوا سعداء
أيمن غوجل
مؤسس و رئيس تحرير مجلة أي ثينك

سيكولوجية الإرهابيين: متلازمة المسيح

الدكتور ستيفن أ. ديامونود

ترجمة : ابتهال محمود

كما ذكرت في مقالي السابق، فإنني أنظر إلى أبي بكر البغدادي، كسلفه أسامة بن لادن، على أنه قائد لطائفة أصولية، يعاني من حالة مستعصية من عقدة المسيح. ولكن، ما هي بالضبط «عقدة المسيح» هذه؟

يعود الفضل إلى «كارل يونغ» في إدخال مصطلح «العقدة» إلى معجم التحليل النفسي للمرة الأولى. وقبل تعاون فرويد الوجيز – والمثمر – معه، استخدم فرويد مصطلحات مختلفة تماماً للدلالة على «عقدة أوديب» المعروفة في يومنا هذا. ولاحقاً، قام ألفريد آدلر، وهو أحد أتباع فرويد السابقين، بتقديم فكرة «عقدة النقص».

ووفقاً لتعريف «يونغ»، فإن العقدة (على سبيل المثال، عقدة الأب أو عقدة الأم) هي كوكبة لاواعية من المدركات، والذكريات، والصور، والاندفاعات، والآراء، والمعتقدات، والارتباطات، والمحتويات الأخرى، تنبعث من عاطفة أو دافع أو غريزة، جوهرية أو نوية، مكبوتة أو نائية. ويمكن للعُقد أن تتصرف كمثل «شخصيات انشطارية» مستقلة نسبياً، تؤثر بشكل كبير على الوعي، والإدراك، والتأثير، والسلوك. قال «يونغ» ذات مرة بأن لدى كلٍ منا عقداً، والسؤال هو إن كنا نحن نمتلك العُقد أم أن العقد هي التي تمتلكنا.

تحوي العُقد صوراً طرازية كامنة في اللاوعي إلى أن يتم تحفيزها أو إثارتها بصورة ما، وعندها، في حالات معينة، تستحوذ على الشخصية بشكل كامل أو جزئي. ويبدو أن فكرة وصورة المسيح أو الله هي إمكانات فطرية (طرازية) في النفس البشرية. وعند وقوع حثٍّ لها، يقع بعض الأفراد المشوّشين في التماهي المضلل مع تلك الصورة الطرازية، مما يؤدي إلى صورة خطيرة من تضخيم الأنا، وهؤلاء هم عادة مرضى الفصام، أو أولئك الذين يعانون من اضطراب الوهم أو من نوبات شديدة من الهوس. يمكن لهذه الديناميكية بعينها أن تحدث في الأفراد المصابين باضطراب الشخصية المضطهدة أو اضطراب الشخصية النرجسية الحاد.

في الفصام – وفي الذهان بشكل عام – هناك ظاهرة لافتة فيما نطلق عليه نحن الأطباء «الانشغال الديني.» يروي مرضى الذهان قصصاً بصورة منتظمة حول سماعهم لصوت الله أو صوت الشيطان. وقد تصاحب بارانويا الاضطهاد تلك الحالات العقلية الخطيرة، وعادة ما تكون هي المصدر للعنف الدفاعي المزعوم من قِبل الطوائف تجاه غير المؤمنين أو الخارجين عن الطائفة والذين يضفون عليهم دائماً صورة شيطانية. قاد القس جيم جونز – الزعيم الروحي لـ»معبد الشعب» People's Temple والمصاب باضطراب الاضطهاد حيث ادعى أنه المسيح وبوذا – قاد هذا القس ٩١٤ من الأتباع المفتونين بقائدهم إلى الانتحار الجماعي بصورة مأساوية عام ١٩٧٨، وكان من بين الضحايا ٢٧٦ من الأطفال الأبرياء. وبصورة مماثلة، قام مارشال آبلوايت بتنصيب نفسه مسيحاً وتنبأ بيوم القيامة، وانتهى الأمر بأن قاد أتباع طائفته المدعوة «بوابة الجنة» Heaven's Gate إلى الانتحار الجماعي عام ١٩٩٧. وفي عام ١٩٩٣، قُتِل الأعضاء الأربعة والسبعون لطائفة «الفرع الداوودي» Branch Davidians، وهي الطائفة المدججة بالأسلحة التابعة لقائدها ديفيد كوريش، في تبادل عنيف لإطلاق النار ضد عملاء حكوميين في واكو، تكساس. وكان كوريش قد نصّب نفسه «النبي الأخير» – وهو الذي لم يعرف له أباً وربما أراد ليسوع المسيح أن يكون له أباً بديلاً. في كل واحدة من هذه القصص المأساوية، نجد مثالاً على متلازمة المسيح حيث يؤمن أعضاء الطوائف وقادتها بأن الموت سيقودهم إلى المجد وإلى حياة أفضل، أي إلى الجنة، كما هي الحال في قضايا الإرهابيين الإسلاميين من أمثال داعش والقاعدة.

وعلى غرار السفّاح تشارلز مانسون، سُحِقت أحلام كوريش الكبيرة في أن يصبح نجماً للروك في الحياة الدنيا عند ذهابه إلى هوليوود. كانت الشهرة قد استعصت عليهما مما أدى إلى إحباط أوهامهما النرجسية التعويضية وجرح أناهما المتضخمة. ما حدث بعد ذلك في كلتا الحالتين هو رد فعل دموي وساخط تجاه مشاعر الإحباط، والإصابة النرجسية، والنبذ. كان رد الفعل ذاك هجومياً عنيفاً ضد العالم، وسعياً حثيثاً وراء العار المدمّر، يؤججه غضب شرس من أجل الحصول على الاهتمام والتقدير. من وجهة نظر علم النفس الوجودي، يمكننا فهم ظاهرة المسيح على أنها جزء من البحث الدائم

والعالمي عن «المخلّص الأسمى»: البحث عن قوة أو كائن عليم بكل شيء وقادر على كل شيء، لكي يحبنا ويحرسنا. يحمينا هذا المخلّص من وحدتنا الوجودية، ومن حريتنا، وقلقنا، ومسؤولياتنا في التفكير بأنفسنا وتقرير سلوكنا الشخصي، كما أنه يمنحنا الأمل والمعنى لمحاربة شعورنا باليأس وفقدان الهدف في الحياة. غير أن هذا المخلّص الأسمى قد يتجسد في عدة أشكال (من ضمنها الحالة المسماة بالانتقال الإيجابي في العلاج النفسي)، ويتم إسقاط القدرات السحرية على شخصية قائد الطائفة أو المسيح، مصاحباً بالتنازل عن الإرادة الشخصية والأنا لصالح ذاك القائد المخلّص ولصالح الاحتياجات الجماعية لأعضاء تلك الطائفة. وهذا يعطي أتباع المخلّص فرصة لتجاوز الأنا الشخصية وللتصرّف كجزء من منظومة أعظم من الفرد نفسه. وفي هذا السياق، يبحث المشتركون في متلازمة المسيح عن الروحانية، وعن طريقة ما لتجاوز إحساسهم باللامعنى، والعجز، واليأس، والعزلة. ومن المؤسف أنه بالنسبة للإرهابيين الإسلاميين وأعضاء الطوائف الرسالية الأخرى، بما فيها عبدة الشيطان، فهذه محاولة يائسة ومهدورة لإيجاد بعض الأهمية الشخصية، والانتماء، والتقوية، والاتصال بعالم يتخطى العالم الشخصي للفرد. وبعبارة دينية أو مجازية، فإن متلازمة المسيح المميتة ترقى إلى عقد التحالف مع الشيطان، وتوفّر تبريراً وتسوية عقلانية لارتكاب الأفعال الشريرة باسم الطائفة أو القضية.

إن لدينا جميعاً «عقدة مسيح» تسكن عميقاً في دواخلنا. ولكن ليس كل واحد منا سيصبح مسكوناً تماماً بها أو متضخماً بشكل عظيم بسببها. فيمكن للرغبة في تخليص و»إنقاذ العالم» أن تكون قوة إيجابية جداً في الحياة إذا تم إبقاؤها تحت السيطرة، ويمكنها أن تكون حافزاً لنفعل الخير ولكي نترك عالماً أفضل وراءنا – وإن كان بشكل متناهي الضآلة – مما وجدناه عليه حين أتيناه. ولكن عندما تواجه الإمكانيات الخلاقة للشخص إحباطاً مزمناً في تحقيق هذا المسعى الإيجابي، فإنها تبقى ميتة في اللاشعور، منفصلة عن الشخصية، مما يجعلها عرضة للاستحواذ من قِبل عُقدة المسيح. ويصحّ هذا بشكل خاص عندما يكون الإحساس بالأنا ضعيفاً أو غير مكتمل النمو نتيجة للصدمة أو أحد الأشكال الأخرى من الإصابات النرجسية المبكرة.

لا تختلف الطوائف الدينية الرسالية كالقاعدة وداعش عن الطائفة المهلوسة أو «العائلية» التي خدمت وعبدت تشارلز مانسون بلا تردد، والتي قامت

وبكل طواعية بذبح الممثلة شارون تايت – التي كانت حاملاً عندئذٍ – إلى جانب ثمانية آخرين نزولاً عند أوامره في صيف ١٩٦٩. كان مانسون مقتنعاً بأنه سيستولي على السلطة في أعقاب الفوضى التي تلت أحداث «هيلتر سكيلتر» في أمريكا، عن طريق التحريض على حرب عرقية نتيجة لحوادث القتل العشوائية. كان ذاك وهمه الرسالي بأنه هو مخلّص العالم. وبناءً على ما رأيته في مقابلاته المسجّلة خلال السنين، يبدو مانسون باذخ النرجسية، ذهانياً بصورة متقطعة، مصاباً بجنون الارتياب، وذو سلوك بالغ الاعتلال الاجتماعي. فهو يزعم بمرارة – مع بعض المميزات بسبب خلفيته المروّعة قبل مذبحة هوليوود – أن العالم قد أساء إليه، مما يعطيه الحق في الإساءة إلى العالم وارتكاب الأعمال الشريرة. إن هذا الغضب الداخلي المرضي وهذه الحاجة النرجسية إلى الانتقام والثأر هما في صميم الاعتلال الاجتماعي – ولهذا السبب أشير إلى الشخصية المعادية للمجتمع وما أسميه «النرجسية السيكوباتية» على أنهما في الحقيقة من اضطرابات الغضب.

على غرار كوريش، لم يعرف مانسون أباه أبداً. وكانت أمه مدمنة كحول – وربما كانت مومساً – فأهملته جسدياً ورفضته وأساءت إليه وتخلّت عنه. أرسِل إلى سجن الأحداث مرات ومرات منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره – وهو بذلك يشبه بشكل وثيق الملف الشخصي للكثير من الشخصيات المعادية للمجتمع – حتى أصبح مانسون مجرماً محترفاً أمضى جلّ حياته كبالغ وراء القضبان. وذكر أنه كان لديه حاجة ملحّة للفت الأنظار إليه كطفل ومراهق، ولكن، وبما أنه لم يحصل على هذا النوع من الحب والرعاية من والديه، فقد قام مانسون بما يقوم به معظم الأطفال في ظروف كهذه وانخرط في سلوكيات سلبية. وفي بلوغه، بعد أن فشل في فعل ذلك بصورة بنّاءة أو إبداعية من خلال الموسيقى أو ما شابه، نجح مانسون (وكوريش) في نهاية المطاف في العثور على الشهرة والقبول اللذان كان ينشدهما بشدة عن طريق التدمير بواسطة أفعاله الشريرة.

وكما نعلم فإن الأطفال الذين يواجهون الإحباط في محاولاتهم للحصول على الاهتمام الإيجابي وتحقيق القدر الصحي من النرجسية التي يحتاجونها بصورة طبيعية، سيلجؤون إلى سلوكيات تجلب لهم الاهتمام السلبي كبديل عن الاهتمام الإيجابي أو عن فقدانه تماماً. اعترف مانسون بذلك شخصياً حيث قال «أنا لا زلت طفلاً يبلغ من العمر خمسة أعوام.» وهذا دقيق من الناحية النفسية: فمثل معظم قادة الطوائف الرسالية الآخرين، هو في الأساس صبي متروك، مدمر، يشعر بالأذى العميق، غاضب، يشعر بالاستياء وبالخوف، يشعر بأنه



غير محبوب وغير قادر على الحصول على الحب. وحين يصبح قائداً لطائفة، فإنه يحصل على الحب غير المشروط والاهتمام والقبول من أتباعه، الحب الذي طالما كان يشتهيه. وبهذا يمكنه ممارسة أوهامه الطفولية من السلطة المطلقة والقوة والسيطرة. أظن أن القادة الإرهابيين مثل أسامة بن لادن وأبو بكر البغدادي يشتركون في حالات ذهنية مماثلة مع غيرهم من الشخصيات سيئة الصيت من قادة الطوائف، بمن فيهم «النبي متعدد الزوجات» وارن جيفز، ومايكل ترافيسر الذي نصّب نفسه مسيحاً (واين بينت). مما لا شك فيه أن أسامة بن لادن قد رأى في نفسه مسيحاً مخلّصاً لشعبه من المسلمين، وربما للبشرية جمعاء. كما أن أدولف هتلر، وهو قائد طائفة رسالية أخرى، رأى نفسه بهذا الصورة، كما رآه الشعب الألماني برمّته، بأن اتبعه بثقة عمياء نحو حرب عالمية كارثية نجم عنها الملايين من الضحايا. وقد أشار المحلل النفسي مايكل ستون (١٩٩١) إلى أن والد هتلر كان يضربه يومياً هو وشقيقه ضرباً مبرحاً وجلداً بالسياط، مما يوحي بأن أفعال هتلر الشريرة (ونوبات غضبه ذائعة الصيت السيء) كانت – على الأقل جزئياً – نتيجة للإساءة الجسدية والعاطفية: تعبير في غير محله، تعبير بغيض – ويالسخرية! مفرط السادية – عن الغضب المكبوت إزاء علاقته المحبطة مع والده السادي. وحسب تعبير «يونغ» فإن كلاً من البغدادي وبن لادن قد يكونا حالتين كلاسيكيتين من التضخم: تماهٍ مفرط إلى حد مرَضيّ مع طراز المسيح، وهو الصورة الفطرية العالمية للمخلّص المتجسّد في الشخص المختار. تشترك الكثير من الديانات في هذا النموذج للمسيح، بما فيها الديانة المسيحية، واليهودية، والإسلام. ففي المسيحية، يمثّل المسيح الدجال النموذج المعادي ليسوع المسيح. وكما هو الحال مع فكرة الله، فإن تماهي الفرد مع شخصية الله أو يسوع المخلّص هو صورة كارثية لتضخّم الأنا. هذا التضخم هو آلية دفاعية فائقة النرجسية ضد الشعور بالدونية والعجز. فالأنا الجريحة، بما تملكه من مشاعر عصبية منهكة لقوى الفرد كالشعور بالذنب، والسوء، والعار، والفراغ، وعدم الاستحقاق، والعجز، تقع فريسة للمباهاة الروحية التي تقع على نفس الدرجة من العصبية (أو الذهانية) التعويضية، والتي أطلق عليها قدماء الإغريق اسم الغطرسة، مما يمنحها تبريراً ذاتياً للأفعال الشريرة. وفي هذا السياق، يتحول مدّعي رسالة الخلاص بدلاً من ذلك إلى المسيح الدجال المعروف في المسيحية، أو الأعور الدجال المعروف في الإسلام، وهو المسيح الزائف، المجسّد لكل الشرور.

لا مصالحة بين الإسلام والحداثة

علي حرب

لا ينفكّ الإرهاب يضرب ويتمدّد لكي يفاجئ العالم بأساليبه الجهنمية وغزواته البربرية، من جزّ الرؤوس بالجملة إلى حرق الناس أحياء، ومن تفجير المدارس إلى الهجوم على مقارّ الصحف. هكذا هو يحشر الجميع، على الرغم من كل القوى التي تُحشد لمحاربته. وبما أن الإرهاب يعمل باسم الله وتحت راية الدين، من أجل إقامة دولة الخلافة وتطبيق الشريعة، فالإسلام هو اليوم موضوع على مشرحة النقد بقدر ما هو موضع التهمة والادانة بعقائده الإيمانية وفتاواه التكفيرية، وتدور المناقشات وتُكتَب المقالات حول هويّته: علاقته بالارهاب، قدرته على التجدد، قابليته للإصلاح، وتأقلمه مع الحياة المعاصرة. وإذا كنت قد تناولت هذه القضايا على صفحات هذا «الملحق»، وقبل ذلك في كتبي ودراساتي، ثم في محاضرتي بالقاهرة مشاركاً في اللقاءات الفكرية التي عُقدت، أخيراً، تحت عنوان تجديد الفكر الديني، فإني في هذه المقالة أتناول علاقة الإسلام بالحداثة والغرب، وما يتفرع عنها من قضايا، من بينها وضعية المسلمين في أوروبا، وفي فرنسا بشكل خاص.

هل المصالحة بين الإسلام والغرب ممكنة؟ هذه مسألة قديمة هي مدار الجدل، منذ اتصال المسلمين بالغرب الحديث الذي فاجأهم بتفوّقه وغزوه لبلدانهم، بقدر ما أيقظهم من سباتهم الحضاري. وهي تتجدّد عند كل إشكال أو صدام يقع بين الطرفين. وقد باتت اليوم قضية الساعة، ولا سيما بعد الهجمات الإرهابية على باريس، على يد التنظيمات الجهادية الاسلامية.

خرافة المصالحة

من يستقرئ سجل العلاقة بين الغرب والاسلام، يجد أنها علاقة صراع بين نقيضين،

تخللتها تحالفات موقتة أملتها مواقف تكتيكية، لا اتفاقات جوهرية، كاجتماع أميركا من جهة والدول أو المنظمات الإسلامية من جهة أخرى، لمحاربة المعسكر الاشتراكي إبان العهد السوفياتي، أو لمواجهة التيار القومي العربي إبان العهد الناصري.

لا أنسى أيضاً اللقاء بين الطرفين حول الجانب الاقتصادي. فالاسلاميون ميّالون إلى المعسكر الرأسمالي والليبرالي، بقدر ما هم معادون، أصلاً للفكر الماركسي والمعسكر الاشتراكي.

لكن لا لقاء بين المعسكرين، الإسلامي والغربي، على المستوى الثقافي والايديولوجي، إذ الأول يتمسّك بعبادة النصوص المقدسة والأصول الثابتة، وإن كان لا يحسن إلا انتهاكها، في معترك الحياة وتقلّباتها، في حين أن الثاني يفكر ويعمل على أساس النظريات الفلسفية وما يتفرع عنها من المذاهب والنظم السياسية، القابلة للتعديل والتغيير أو للتحسين والتطوير.

الاسلام هو في ذلك، شأنه شأن أي دين توحيدي أو معتقد أحادي، إنما يشتغل بعقلية التهمة والتكفير واقصاء الآخر، غير المسلم، أو المسلم المختلف في المذهب والرأي، كما تشهد اليوم الصراعات الدموية بين الشيعة والسنّة حول الرموز والنصوص. وإذا كان المسلمون لا يقبلون بعضهم بعضاً، فكيف يقبلون الآخر المتمثل في الغرب بدوله وثقافاته!

المؤمن والمواطن

إذا كانت المجتمعات العربية شرعت، منذ عصر النهضة بأبعاده التنويرية والليبرالية، في إعادة بناء نفسها وصنع مستقبلها على النمط الغربي الحديث، فقد حصل تراجع بعد ازدهار الإيديولوجيات القومية واليسارية وفشل المشاريع الحداثية، وخصوصاً بعد صعود الحركات الإسلامية. تمثل هذا التراجع في النكوص من نموذج "المسلم" الذي يتعامل مع هويته الدينية كشأن شخصي، ويتصرّف لا كمؤمن بل كمواطن يعيش في دولة لا في قوقعة طائفية، إلى نموذج "الإسلامي" الذي هو صاحب مشروع شمولي لتسلم السلطة وتطبيق الشريعة. والاسلاميون

صنفان: داعية يكفّر ويهدّد، وجهادي يحاكم ويقتل تطبيقاً لفتوى الداعية. وقد يجمع الإسلامي بين الأمرين.

لا فرق هنا بين مذهب ومذهب، أو بين منظمة وأخرى. فالإسلام الأصولي لا يمكن تطبيقه إلا على نحوٍ ما يفعل تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) وأخواته، أو أضداده. وتلك هي حصيلة أسلمة الحياة والدولة والمجتمع في هذا العصر: استئصال الآخر، دمار الذات، تشويه سمعة العرب والمسلمين، بتقديم أنفسهم إلى العالم بوصفهم اختصاصيين في صناعة الموت وإنتاج الكوارث وتخريب معالم العمران والحضارة. هذا ما كتبه أحدنا قبل حوادث كانون الثاني الفرنسي (2015)، بل قبل حوادث أيلول الأميركي (2001)، ومن غير انتظار الأعمال البربرية لتنظيم "القاعدة" أو "داعش"، التي أيقظت البعض من سباتهم وكشفت عن الجهل الفاضح للبعض الآخر، بما يكتب في نقد الأصولية الإسلامية منذ ربع قرن.

الإسلام والحداثة

من هنا الوجه الآخر للخداع، كما يتمثل ذلك في الفصل بين الإسلام والأصولية الإسلامية (Islamisme)، كما يفعل الذين يدافعون عن إسلام معتدل، وسطي، سلمي، ديموقراطي، تنويري. هذا مطبّ يقع فيه الكثيرون من العرب والغربيين، ساسةً ومثقفين. فليستيقظ هؤلاء من سباتهم. فلا وجود لمسلم ملتزم أصول دينه، هو شخص معتدل في مفهومه للحقيقة أو في رؤيته للعالم أو في تعامله مع الآخر. فذلك يتعارض مع عقيدته المقدسة ببنودها الأربعة:

الأول إيمان المسلم بأن عقيدته نطقت بالحقيقة المطلقة الأولى والأخيرة. الثاني اعتقاده بأن شريعته تقدم الاجوبة والحلول لكل الأسئلة الشائكة والمشكلات المعاصرة. الثالث تصوّره بأن كتابه ينطوي على العلم بكل شيء، بحيث لا يَبقى للخلف شيء يقوله أو يفعله سوى السطو على المعارف المنتجة في الجامعات الغربية ونسبتها زوراً إلى القرآن. فيا لفضيحة العلم الكلي التي تشهد على جهل أصحابها المركب بالنص والعلم. ولا أنسى البند الرابع: اعتقاد المسلم بأن أمّته خير أمة أخرجت للناس، والباقون هم أهل كفر وبدعة أو زندقة وهرطقة، ولذا فهم

محل اقصاء رمزي أو جسدي.

هنا أصل العلّة، كما تتجسّم في الشيفرة الثقافية التي تصنع عقليات مفخخة تنفجر ألغاماً مجتمعية، طائفية أو قبلية أو سياسية، لكي تؤول بالمشروع الديني على اختلاف نسخه الى نهاياته الكارثية، على ما نشهد ونعاني. لذلك لا ننتظر تغييراً على يد المؤسسات الدينية، ما دامت تشتغل بثنائية الكفر والإيمان أو الرجس والطهر.

هذا ما تشهد به المثالات عند مَن يُحسن قراءة الحوادث والأقوال:

الفتوى ضد الديموقراطية

المثل الأول يتعلق بالديموقراطية. فالاسلاميون، مذ بدأوا العمل والنشاط في الحقل العام (تحت شعارهم: الإسلام هو الحل)، لا يتوقفون عن التأكيد، وأحياناً التهديد، أنهم مع الحكومة الإسلامية أو الحاكمية الالهية، وأنهم ضد المنظومة الفكرية الحداثية بمختلف أركانها: العلمانية، الفلسفة، المجتمع المدني، فضلاً عن الديموقراطية. فالفتوى هي هنا نقيض الديموقراطية بوصفها حكم الاكثرية.

من الطبيعي أن يكون الأمر كذلك. فالحاكم المسلم يأخذ باجتهاده ورأيه، لا بإجماع الجمهور الذي كان دوماً موضع احتقار من جانب أهل الحل والربط من العلماء والساسة، ممن يسمّون الخاصة والصفوة؛ كما هو اليوم موضع احتقار من جانب النخب الثقافية التي تدّعي تنويره والدفاع عن مصالحه. الثمرة السيئة لذلك هو صنع قطعان بشرية لا تحسن سوى أن تذعن وتصدق وتهلل وتصفق للزعيم الأوحد أو للقائد المرشد.

بالطبع يتراجع الإسلاميون، على سبيل الالتفاف والمناورة، لأسباب دعائية أو تكتيكية. وهذا ما فعلته الاحزاب الإسلامية، بعد اندلاع الثورات العربية، تحت شعار الحرية والديموقراطية. لقد تراجعت، على مستوى الخطاب، وقبلت بصندوقة الاقتراع أملاً بالوصول إلى السلطة والقبض عليها. ولما تمكنت تراجعت عن وعودها ومارست استبداداً مضاعفاً يتغذّى من الارث الديني والارث السياسي. المثال يقدمه النظام القابض على الأمر في ايران، حيث ابتلعت ولاية الفقيه النظام الجمهوري، وحولت

الديموقراطية الى مجرد ديكور أو واجهة.

ما يفضحه الحجاب

المثل الثاني يتعلق بوضعية المرأة التي هي نصف المجتمع وعقدة الرجل في آن واحد. فالحقوق والحريات، من هذا الجانب، قد تراجعت على نحو قياسي، عما كانت عليه في النصف الأول من القرن الفائت، حيث كان من النادر أن تشاهد طالبة أو سيدة محجبة في الجامعة أو في الأماكن العامة. أما اليوم فالحجاب يكتسح الفضاء العمومي بأشكاله المختلفة من الفولار الى البرقع، مروراً بالنقاب، بعدما ارتدّت البنت على أمّها السافرة لتعود الى جدتها المحجبة أو المبرقعة.

هكذا عدنا مع عودة الدين الى الحجاب بعد مئة عام من السفور، ولذا من الخداع أن نتحدث عن مصالحة بين الإسلام والحداثة. ما حصل هو العكس بالتمام. فبعد صعود حرّاس العقيدة، حصل ارتداد عن مكتسبات الحداثة، على سبيل الثأر والإنتقام.

والحجاب لا يجلب لأهله سوى المشاكل، وخصوصاً اذا كانوا يعيشون في البلدان الاوروبية، كما هي الحال في فرنسا. صحيح أن الاسلاميين هناك، ومعهم كثر من العلمانيين، يحتجّون دوماً بحرّية التعبير والاعتقاد المكفولة في الدستور وفي شرعة حقوق الإنسان. لذا يتهمون من يعارض ارتداء المسلمة الحجاب، إما بالعنصرية، وإما بكونه يخالف مبادئ الحرية التي قام عليها النظام الفرنسي بطابعه العلماني والمدني.

لكن الحجاب بوصفه علامة من علامات الهوية، إنما يعني تغليب الانتماء الديني على الانتماء الوطني، بقدر ما يستخدم كشكل من اشكال المقاومة للمجتمع الحديث. فالتي ترتدي الحجاب، في الفضاء العام، كأنها تقول أنا مسلمة أكثر مما أنا فرنسية، أو أنا لا اقدر على الاندماج في المجتمع الفرنسي ولا أريده. هذا ما أكّدته تلك الفتاة المحجبة بقولها: أنا لا أتلقى الأوامر لا من والدي ولا من مدير المدرسة، بل من الله مباشرة. وبما أن الله هو الغائب الدائم عن المسرح، يحلّ محلّه في اصدار الاوامر من ينوب عنه وينطق باسمه، من المتألهين من علماء ومرشدين

أو دعاة ومشعوذين.

إن قضية الحجاب، وسواه من العادات والطقوس والفرائض، تقدم شاهداً على أن المسلمين الفرنسيين يطلبون ممارسة حرياتهم الدينية، بصورة تتعارض مع الأسس التي قامت عليها الدولة الفرنسية، التي لم تعد دولة دينية، منذ الثورة الفرنسية عام 1789. فهل تتخلّى فرنسا عن المكاسب التي تحققت، منذ عصر الأنوار، في ما يخصّ الحقوق والحريات، لكي يمارس المسلم، الذي هرب من جور حكومته وفقر بلده، حريته على نحوٍ عنصري أو استبدادي؟! فمَن العنصري: الذي يدافع عن قيم مجتمعه الحديثة، المدنية والليبيرالية، أم الذي يريد فرض نمط حياته البائد على المجتمع الفرنسي للعودة به الى عصور العبودية! وإذا كان المسلمون الأصوليون يدمّرون مجتمعاتهم ويخربون عمران بلدانهم، فهذا أقلّ ما يمكن أن يفعلوه في فرنسا، فيما لو سيطروا أو هيمنوا: استغلال الحريات والعمل على تقويضها.

الهوية الأثرية

بهذا أصل إلى المثل الثالث، المتعلّق بالرسوم الكاريكاتورية التي شهدنا أحد فصولها الدامية في المجزرة التي أودت بحياة فريق العمل في أسرة تحرير مجلة ”شارلي إيبدو“! هنا أيضاً يتمترس المسلم الفرنسي وراء هويته الاركيولوجية وطوطمه النبوي. إذ هو يطالب بمنع وسائل الإعلام من التعرّض بالنقد لرموزه ومقدساته. ولكن لماذا تعطيه الدولة الفرنسية امتيازاً خسرته الطائفة الكاثوليكية، إذ في فرنسا من الجائز التعرّض للمسيح ولآباء الكنيسة بالنقد السافر، الساخر أو الفاجر.

السؤال الذي يثور في الذهن: من الذي يسيء إلى الإسلام؟ الرسوم الكاريكاتورية أم أهله الذين يصرّون على ممارسة هويتهم الدينية، في هذا العصر، بصورة هزلية كاريكاتورية أو عدوانية وارهابية؟ من يسيء إلى القيم الدينية: رسم امرأة مبرقعة بصورة ساخرة أم الفتاوى المضحكة والبربرية حول رضاعة الكبير أو حول مفاخذة الأنثى بقصد الاستمتاع ولو رضيعة، كما يفتي المفتون لدى السنّة والشيعة على السواء؟

ومع أن المرء لا يسعه إلا أن يستنكر تلك المذبحة التي تعرّضت لها الصحيفة الفرنسية، فقد كان لها فوائدها، للفرنسيين والاوروبيين عموماً، لأنها أيقظتهم

من سباتهم، لمواجهة محاولات أسلمة مجتمعاتهم، تحت ستار الدفاع عن حرية الاعتقاد والتعبير.

لكن ما جرى في فرنسا كان له مفاعيله السلبية في البلدان العربية، لأنه عزز النرجسية الدينية، وأطلق موجات جديدة من التعصب الاعمى، بقدر ما شكل ملهاة تصرفنا عن النظر في مشكلاتنا المتراكمة وأزماتنا المستعصية. إن من يتأمل ما آل إليه واقع المجتمعات العربية الغارقة في الفوضى والعجز، يجد أن أحوج ما تحتاج إليه هو النقد الساخر الذي يفضح، عبر الرسوم الناطقة والكلمات الخارقة، ما جرى تمويهه أو تغليفه وحجبه، تحت الرموز والعناوين المقدسة، من الأكاذيب أو الخرافات والشعوذات، التي حفل بها جزء كبير من التراث الديني.

وإذا كان بعض الغربيين لا يقفون مع مسّ المقدّسات، من جانب وسائل الإعلام، كما عبّر الفيلسوف الفرنسي إدغار موران، فإن الوضع مختلف بيننا وبينهم، ولا سيما أن الممارسات التقديسية تراجعت في الغرب بعد هزيمة الكنيسة وانحسار دورها في حياة الناس. ما يحصل عندنا هو العكس، إذ لا يزال سيف التكفير مسلّطاً على الرؤوس، لمنع التعرّض للمقدسات التي هي مصدر أزماتنا ومصنع عجزنا وتخلّفنا وفقرنا. ولست أدري ما الذي يفكر فيه الآن ريجيس دوبريه بعد مجزرة باريس؟ هل يتراجع عن مقولته بأن المجتمعات تحتاج إلى رابط قدسي لكي تلتئم وتتوحد؟ هل يتشبّث بمقولته الأخرى بأن الدين هو فيتامين الضعفاء؟

إن الدين الإسلامي كما يمارس اليوم، من جانب جهادييه، سواء في فرنسا أو على أرضه، لم يعد أفيوناً كما وصفه ماركس. لكنه أبعد ما يكون عن وصفة دوبريه، إذ هو تحول إلى جرثومة فتّاكة وفيروس قاتل.

حرّاس العقيدة

المثل الرابع يقدمه العلماء الذين عقدوا مؤتمراً في "الازهر"، المؤسسة الدينية الابرز في العالم الإسلامي، من أجل محاربة التطرّف والعنف والإرهاب، وللتأكيد أن الإسلام دين الاعتدال والوسط والتسامح. لكن ما فعلوه هو العكس بالتمام. لقد اثبتوا أنهم الوجه الآخر للتنظيمات الإرهابية، بل مصدرها الفكري. لأنهم تعاملوا معها

بالعدة العقائدية البربرية كما تتمثل في ثنائية الإيمان والكفر، وما يترتب عليها من أحكام وفتاوى تدعو إلى القتل بقطع الرؤوس أو الايدي والأرجل. هكذا سقطوا في امتحان الاعتدال على نحوٍ مدوٍّ، وتواطأوا مع مَن يدّعون محاربتهم، بقدر ما تصرفوا كشرطة للعقيدة المقدسة أو كحرّاس للحقيقة المطلقة.

لنقارن بين علماء الدين المسلمين، وبين البابا فرنسوا رأس الكنيسة الغربية. فهو لا يتصرف كحارس للعقيدة، بل كمواطن عالمي يهتم بالقضايا التي تستأثر باهتمام كل الناس. من هنا كان اهتمامه بالمسلمين الليبيين الذين تهجرهم من ديارهم التنظيمات التكفيرية التي تخرجت في مدارس حراس العقيدة وشرطة الإيمان، هذا فيما علماء الاسلام لاهون في نقاشاتهم البيزنطية حول ما اذا كان الداعشي الارهابي مؤمناً أم غير مؤمن. فيا لها من فضيحة.

لا رهان اذاً على الدين بمؤسساته وسلطاته. لذا من العبث مطالبة رجال الدين بإحداث تغييرات حقيقية أو بنيوية تطال أسس عقائدهم. فلا ننتظر منهم إصلاحاً أو تجديداً، ومن باب أولى ان لا يقوموا بثورة. من يأمل منهم ذلك، حاله كحال من كان ينتظر إصلاح الكنيسة في عصر محاكم التفتيش، أو إصلاح نظام فرنكو أو هتلر، أو إصلاح الأنظمة الشمولية في العالم العربي.

وحدها هزيمة المشروع الديني تفتح الإمكان للإصلاح والتجديد. وهذا ما يستفاد من الدرس التونسي. لم يكن هاجس أهل تونس تجديد الخطاب الديني، بل هزيمة المشروع الديني، وهذا ما تحقق بتراجع القوى الإسلامية، وصوغ دستور لتونس مدني يحترم حرية الضمير والاعتقاد. عندها تصبح مهمة تجديد الفكر الديني هي مهمّة أهله. بالطبع بإمكانهم، إذا شاؤوا إصلاح أمور دينهم، الإفادة من القراءات النقدية للنصوص والخطابات، أكانت دينية أم غير دينية، إذ هي تفتح إمكانات خصبة للتفكير، فهماً وتشخيصاً، مقاربة ومعالجة، بقدر ما تكشف عما تنطوي عليه المشاريع والدعوات من آليات الحجب والخداع أو اشكال الاحتكار والمصادرة.

عقدة الاسم

ليستيقظ من غفلتهم أولئك المثقفون والإعلاميون الفرنسيون، الذين يروّجون للفكرة الخادعة والساذجة القائلة بوجود "إسلام بدون خضوع"، كما عنون كتابه ودعوته عبد النور بيدار، الفيلسوف الفرنسي من أصل مغربي. فما يدعو اليه هو من المحالات لغةً ومنطقاً ومسلكاً:

لغةً، لأن لفظة الإسلام تعني الخضوع والاذعان والانقياد؛ منطقاً، لأن الدين عموماً يعني الصدوع بأمر الله. من هنا يُتَّهم بالزندقة كل من يشغّل عقله في مواجهة النصّ؛ مسلكاً، لأن علاقة المسلم بكتابه ونبيه واسلافه تقوم على السمع والطاعة بقدر ما هي علاقة عبادة وتقديس، وكل ذلك يتم بتعطيل العقل وقمع حرية التكفير والنقد والتعبير.

لا ننخدعنّ بما يقوله الخطاب، فمنطوقه يحض الناس على التعقل، لكن منطقه هو تغليب النص على العقل. هكذا فالمسلم مطالب بالتعقل، السلبي، وعلى النحو الذي يعطل العقل، تماماً كما أن المسلم الفرنسي إنما يطالب بحريته ولكن لكي يلغيها.

السؤال هنا: ما الحاجة الى الاسلام اذا كنا ضد منطق الخضوع؟ فبداية التحرر وعدم الخضوع تعني، اقله، الخروج من حظيرة الإسلام اللاهوتي والعقائدي، بحيث لا يستعبدنا إسم أو أصل أو مذهب. لكن البعض حتى ولو لم تعد لهم صلة بالإسلام، يصرون على التعلق بالإسم. فيا لزيف الهوية وهشاشة الفكرة.

الطوطم والبعبع

في ضوء هذا التشخيص، لا نأملنّ بمصالحة بين الإسلام والغرب، أو باندراج المسلم في المجتمعات الأوروبية التي هاجر إليها وارتضى أن يعيش فيها ويحمل جنسيتها، إذ هو يشكل بذلك الوجه الآخر للداعية الإسلامية الذي يريد أسلمة الحياة في البلدان العربية. وكما أن الدعاة الاسلاميين هم المصدر الفكري للجهاديين الارهابيين في البلدان الإسلامية، فإن المسلم الفرنسي، وإن لم يكن جهادياً إرهابياً، هو الوجه الآخر للجهادي الإرهابي، إذ يشكل البيئة الحاضنة التي يتحرّك داخلها، بقدر ما يصرّ على فرض نمطه الإسلامي بقيمه وعاداته وطقوسه،

على المجتمع الفرنسي، ذي التقاليد المدنية العريقة. الأمر الذي يحول المسلمين إلى طائفة تستعصي على التواصل مع مجتمعها. من العجب أن ينفي بعض المختصين بالشأن الاسلامي، كون المسلمين الفرنسيين يشكلون "طائفة"، كما يفعل أوليفييه روا، لأنهم لو لم يكونوا طائفة لما كان ثمة مشكلة أصلا هي مدار الجدل الدائم في فرنسا.

ان استحالة المصالحة بين الاسلام والحدث، لا تعني أننا ننخرط في صراع الحضارات كما يحاول البعض إحياء مقولة هنتنغتون بعد الغزوة البربرية على الصحيفة الفرنسية. فسواء تعلق الأمر بقضية صراع الحضارات أو بثنائيات الشرق والغرب أو الإسلام والغرب، نحن إزاء مقولات ومتعارضات فقدت صدقيتها. فالحضارة الإسلامية ولّى زمنها، كغيرها من الحضارات القديمة كالفارسية واليونانية أو الهندية والصينية...

لذا بات من الخداع أن يصنّف الإسلام بوصفه حضارة توضع في مواجهة الحضارة الغربية الحديثة. فالأحرى أن يصنّف مع المسيحية واليهودية والبوذية، وسواها من العقائد القديمة. إن الإسلام الذي كان، في الماضي، عنواناً لحضارة مزدهرة، يتحول الآن، كما يُمارسه حرّاسه، إلى طوطم سلفي أو الى ديناصور ثقافي، إلى بعبع خرافي أو الى تنين ارهابي، وكلها صور ونماذج تستخدم في مواجهة موجات الحداثة المتلاحقة التي أفاد منها المسلمون وتأثّروا بها، وإن أنكروا ذلك وجهلوه.

كفى زيفاً وتلفيقاً. كما يمارس ذلك من جانب المثقفين الذين يحدثوننا عن الغزو الثقافي أو عن الامبريالية والاسلام، فيما هم حصيلة الثقافة الغربية في وعيهم ومفاهيمهم، في معارفهم ومناهجهم، في شهاداتهم وألقابهم. فهؤلاء ساهموا بأطروحاتهم، عن جهل أو عن وعي، في تغذية الحركات الأصولية والتنظيمات الجهادية. فيا للجهل المركب، بالذات وبالآخر.

التسميات العنصرية

إن معالجة الإرهاب الذي ضرب باريس في عقر دارها وأثار الرعب لدى الفرنسيين والأوروبيين، لا تتم فقط على المستوى الامني، حتى لا تتحول فرنسا والدول الأوروبية إلى معسكرات على غرار مدننا وعواصمنا

العربية. بذلك يكون الارهابيون حققوا غرضاً من أغراضهم: زرع الرعب في النفوس وجرّ الحكومات والسلطات إلى التطرف في اتخاذ الإجراءات الأمنية، وعلى نحوٍ يتم على حساب الحريات الشخصية والعامة على السواء. فالهجمات على باريس، وعلى كوبنهاغن، تفتح الباب لتغيير اللغة والخطاب أو النظرة والعقلية، في ما يخصّ طرق التعامل مع الهويات في البلدان الأوروبية، وذلك من غير وجه:

استبعاد الصفة الدينية من التعريف بالهوية، في ما يخصّ من يعتبرون أقليات أو جاليات أو طوائف مميزة، أو وافدة، كاليهود والمسلمين والارمن والسود...، الأحرى أن يُعامَلوا ويعامِلوا أنفسهم كما يعامل الفرنسي نفسه أو كما يُعامل على يد نظرائه، من دون ذكر الأصل الديني الكاثوليكي أو البروتستانتي، بحيث يُكتفى بما يدل على المهنة والعمل والاختصاص. فالتسميات التي تتعلق بالمسلم أو اليهودي أو الأرمني أو الافريقي أو بغيرهم، تشي بعنصرية دفينة، ولو تمّ استخدامها، في حالة اليهود، على سبيل التضامن والتعاطف، نظراً لما تعرضوا له في العهد النازي من الاضطهاد والابادة.

الشاهد على ذلك ان الروائي الأميركي الكبير، فيليب روث، عندما عرّف به محاوره الفرنسي، وكما هي عادة الفرنسيين، وكان في زيارة لباريس، بقوله له: بصفتك كاتباً أميركياً "يهودياً"، قاطعه فوراً بقوله: لا معنى لكلامك. فأنا كاتب أميركي أصلاً وفصلاً، لأن الكاتب إنما هويته اللغة.

أعتقد أن روث اعترض على التسمية اليهودية، لأنه استشمّ من ورائها رائحة عنصرية، ولو استُخدِمت بصورة إيجابية أو ودّية. فلا ينخدعن اليهود بهذا الدلال الذي ينعمون به في فرنسا. اذ لا يمكن الواحد أن يحب غيره أكثر منه، إلا على سبيل الخضوع والرهبة أو الغباء والنفاق.

تحقيقاً لذلك، الأجدى لهم أن يتوقفوا عن استذكار المحرقة التي يحاولون استحضارها في كل مناسبة، بحيث يوافقون على إلغائها من البرامج المدرسية، لكي تندرج في التعليم الجامعي، وفي سياق الكلام على أعمال الإبادة، بحق الإنسانية، أياً كان فاعلوها أو ضحاياها. إن هذا الإستنفار

الدائم للذاكرة، بإدانة الآخر أو تخويفه أو الضغط عليه، سيرتد في النهاية على أصحابه، لأن مآله شحن النفوس لصنع ذاكرة مضادة وعلى النحو الأسوأ والأرهب.

إشهار الهويات

ما يسري على اليهود، يسري بشكل خاص على المسلمين الفرنسيين الذين يهاجمون العنصرية فيما هم يقعون في فخاخها. فالأجدى لهم أن يعيدوا النظر في ممارستهم لثقافتهم الأصلية من غير وجه:

التوقف عن التعريف بأنفسهم من خلال الصفة الدينية، باستبعاد عبارات الجالية أو الطائفة. فلا معنى ولا جدوى من استخدام العنوان الديني في دولة غير دينية، سوى العودة إلى الوراء لإحداث التوتر والاضطراب بين عناصر المجتمع وفئاته.

الامتناع عن استخدام العلامات الدالة على الهوية في الفضاء العمومي وفي المؤسسات العامة، كبناء المآذن والذبح الحلال وأداء الصلاة خارج المسجد، فضلاً عن الحجاب نفسه. لقد اتخمنا إشهاراً وتسجيلاً للهويات في الساحات وعبر الشاشات، لكي نحصد كل هذه المساوئ والمفاسد أو المآسي والكوارث، حروباً أهلية في البلاد العربية، أو تخريباً للعلاقة بين المسلمين وبين مجتمعاتهم الأوروبية.

إن الإشهار للهوية، خصوصاً في المجتمعات الأوروبية ينمّ عن جهل وعنصرية، تماماً كما ينمّ في المجتمعات العربية عن ادعاء أو تعصّب أو نفاق. وإلا كيف نفسر كل هذه الانهيارات والتراجعات بعد صعود رجال الدين على المسرح؟ فالأحرى والأوْلى أن يتصرّف المسلم كمواطن فرنسي، على قِدم المساواة مع سواه من المواطنين، أياً كانت أصولهم أو مذاهبهم.

العقدة واللعنة

هل أنا أغالي وأتطرف في هذا النقد القاسي الجارح والصادم، للدين الإسلامي؟!

أنا لا أنتقد المسلمين الذين ينتمون إلى العالم الحديث، وهؤلاء أكثرية صامتة لا يستهان بها، وإن كانوا قليلي الفاعلية والأثر، قياساً على أصحاب الدعوات والمشاريع.

لذا ينصبّ هذا النقد على المؤسسة الدينية التي تصرّ على التعاطي مع الإسلام، كطور ماضٍ، لم يبقَ منه إلا جوانبه السلبية التي لا تصلح لبناء مجتمعات متطورة أو لصناعة حياة حديثة، وهي ثلاثة:

الاسم والحرف والطقس على ما يمارس اسلامهم الذين خُتِم على عقولهم وأبدانهم.

العقدة والذاكرة الموتورة، كما يتصرف الذين يمارسون هويتهم على سبيل العداء للآخر والثأر من العالم الحديث، دفاعاً عن ماضٍ فردوسي لن يعود ولم يكن فردوسياً. اللعنة أو الإستراتيجيا القاتلة والمدمرة، كما يمارس الإسلام أصحاب النماذج التكفيرية والمنظمات الإرهابية. لا أنسى الجانب الرابع، ولكن الايجابي: النصوص والكتب التي هي كنوز معرفية عند من يحسن قراءتها والعمل عليها، بالتحويل الخلاق والتركيب البنّاء والتجاوز الفعال. وإذا كان مشروع الاسلاميين قد فشل كنموذج حضاري أو برنامج سياسي أو نظام حقوقي، فالممكن والمشروع والنافع هو تشغيل العقول واستثمار الموارد أو خلقها، على النحو الذي يتيح للواحد أن يبني نفسه ويشارك في صناعة الحضارة القائمة.

أيا يكن، لا يمكن المسلم أو سواه أن ينتقل للعيش في مجتمع جديد، من غير أن يطرأ تغير ما على هويته يحمله على إعادة إنتاجها وتكييفها مع الوضعية الجديدة، بحيث تغتني بوجه أو جانب أو رافد، بقدر ما تساهم في إغناء الآخر على سبيل التبادل. هذا ما يفعله صاحب الهوية المفتوحة والمركبة، الغنية والقوية، بأبعادها المتعددة. من غير ذلك تستعاد الهوية وتمارس بصورة سلبية وعلى نحو مفخخ، بحيث تصبح مشكلة دائمة لصاحبها.

يمكن الواحد ان يكون ذا هوية مزدوجة على الصعيد اللغوي، فيكون مثلا فرنسيا جزائريا أو فرنسيا لبنانيا، فذلك هو غنى وثراء. على العكس من الازدواجية على المستوى الطائفي، اذ هي تولد داخل المجتمع النزاع والشروخ والانشقاق.

الأخطبوط والتنين

هل أنا أقف مع الدولة الفرنسية ضد الإسلام والمسلمين؟!

أنا أحاول تشخيص الوضع في فرنسا التي هي اليوم محل توتر وتمزق بين قضية اليهود ومطالب المسلمين. وأنا أتعمّد الجمع بين الطرفين، وبعكس ما تروّج له الأسطورة التي تجمع بين اليهودية والمسيحية، لأنهما وبالرغم من العداء الذي استحكم بينهما، بسبب قيام دولة إسرائيل وتهجير الفلسطينيين من ديارهم، أقرب، من حيث منطق الاصطفاء والتمييز، وأبعد ما يكون عن المسيحية التي تقوم على مبدأين: التجسّد والتضحية.

لكني لا أنتقد هنا، اليهود والمسلمين، ذوي العقول المنفتحة والهويات العابرة، ممن خرجوا من قوقعة طوائفهم، أو ممن يمارسون علاقتهم بجذورهم الدينية وبيئاتهم الثقافية، الأصلية، كرأسمال رمزي يستلهمونه في حياتهم ومهنهم، بحيث يترجمونه. الى عمل نافع او منهج صالح او نموذج ناجح او انجاز لافت في مجال من المجالات. إنما أنتقد الذين يتمترسون وراء هوياتهم الأصلية، ولا سيما منهم زعماء الطوائف والمؤسسات الدينية، اليهودية أو الإسلامية. فهؤلاء لا يحسنون التعاطي مع القضايا بلغة التواصل أو التعارف أو التداول. ما يتقنونه هو لغة الغطرسة او المخادعة أو التقية المبطنة بمشاعر الكره والعداء.

بالمقارنة يبدو الفارق كبيراً بينهم وبين الكاثوليك الذين هم الأكثرية والطائفة الأعرق. فهؤلاء لا يسمع لهم صوت ولا يرفع مطلب في الفضاء العمومي، لأن الضجة الإعلامية تدور اليوم ما بين قوم موسى وقوم محمد، ما بين أتباع الرابين وأتباع المرشدين، ما بين صفاقة اليهود المتعصبين ومخاتلة الدعاة الاسلاميين.

صحيح أن الكنيسة صنعت محاكم التفتيش، لكنها، بعدما انكسرت شوكتها ومرت بمصفاة الثورة والعلمنة، اعتدلت وصارت أقل تعصباً وتطرفاً. يتجلى ذلك في كلام أهلها الذين يتحدثون بلغة التقى والتواضع. من هنا يبدو لي أن الكاثوليك قد أصبحوا الطائفة الخائفة والمستضعفة في فرنسا. فحالهم تشبه في لبنان حال المسيحيين، ممن ساهموا في صنع النهضة العربية وفي كتابة تاريخ التمدن الاسلامي. لكنهم باتوا، اليوم،

بسبب الصراع القاتل على منصب رئاسة الجمهورية، منشطرين بين المعسكرين الشيعي والسني، ممزقين بين أنياب العروبة الهدامة ومخالب الاسلام البربري. مرة أخرى انها فضيحة الاسلام والمسلمين أن يكتب مسيحي لبناني تاريخ التمدن الاسلامي، هو جرجي زيدان، فيما المسلمون المجاهدون والجهاديون يخربون بلدانهم ويدمرون ما بقي من معالم الحضارة الاسلامية.

أعود الى مشكلة فرنسا كما يصنعها النزاع أو الشقاق بين ما يريده اليهود ويرفضه المسلمون، وبالعكس. فكلا الطائفتين تساهم في تلغيم المجتمع الفرنسي بتعصبها وجهلها، أو بمخاوفها واحقادها، ولكل سببه وطريقته.

بالنسبة لليهود هناك الذريعة الدائمة، أي المحرقة التي تعامل كقدس الاقداس، وتستخدم كسيف مسلط على الرؤوس، بحيث بات الفرنسي يخشى من مناقشته أي شأن يخص اليهود، إذ يصبح موضع الإتهام والإدانة، وينقضّ عليه حراس الذاكرة تشويهاً لسمعته وتحطيماً لصورته.

وهذا ما يفعله المسلمون من جهتهم بحجة أنهم مظلومون ومحرومون من ممارسة حريتهم في التعبير عن معتقداتهم الدينية. لذا فإن كل من يناقش، مثلاً، مسألة الحجاب، يُتَهم بأنه كاره للمسلمين أو مصاب بداء الخوف من الإسلام، وتلك هي الخديعة. فإذا كان المسلمون على أرضهم وفي ديارهم باتوا يخشون من صعود الإسلام الذي تحول على يد حراسه الى بعبع، فلماذا نأخذ على الفرنسيين خشيتهم منه؟

هكذا لا صدقية للمسلمين بإدعائهم أنهم أهل مظلومية وضحايا التمييز والعنصرية من جانب الفرنسيين. فالتجارب في العالم الإسلامي أثبتت أن المظلوم سرعان ما يتحول الى ظالم وجلاد. ولا عجب. فالضحايا إذا لم يحسنوا تصفية علاقتهم بذاكرتهم، بتحويلها على نحو ايجابي وبناء، لا ينتجون إذا تحرروا أو سيطروا إلا جلاّدين، وعلى النحو الأكثر وحشية وبربرية. وإذا كان المسلمون في بلدانهم الأصلية لا يرحمون بعضهم البعض، فلن يرحموا سواهم في الدول الأوروبية.

إنّ فرنسا هي منذ زمن ضحية للإبتزاز أو الإرهاب كما يمارسه المسلمون واليهود. وأعتقد أنها تراخت كثيراً،

حتى استفحل الداء وجعلها فريسة بين فكّي الكماشة: الأخطبوط اليهودي والتنين الإسلامي. وإذا كان عليها أن تخرج من مأزقها فليس بإجراء مصالحات بين اليهود والمسلمين على الطريقة اللبنانية، بل باعتماد استراتيجيا جديدة في التعامل مع الطائفتين، بكسر الثنائيات والعقليات التي تتحكم بالمجتمع الفرنسي، كما تجسدها أسطورة معاداة السامية أو آفة كره الإسلام أو الخوف المرضي منه، بحيث يتم التعامل مع قضايا اليهود والمسلمين لا بوصفهم فوق الدولة أو ضد المجتمع، بل كمواطنين كما هي حال الكاثوليك، او من بقي منهم في طائفته ولم يخرج منها. وحده ذلك يحول دون صعود اليمين المتطرف ممثلا بالجبهة الوطنية.

من هنا المسؤولية الكبرى التي تقع على أرباب الطائفة اليهودية أو الإسلامية، بحيث يحسنون قراءة ما حدث ولا ينفك يحدث، من الكوارث والآفات، لكي يغيّروا نظرتهم الى ذواتهم والى الغير والعالم، وبحيث يقتنعون بأنه لا توجد مسائل أو قضايا تقع خارج نطاق المساءلة أو المناقشة، سواء تعلقت بهذا النبي أو بتلك القضية. فلا مقدسات في الدولة الحديثة.

الهوية العابرة

هل أنا أتدخل في فرنسا بما لا يعنيني؟

بالعكس أنا أتدخل في الشأن الفرنسي، لانه يعنيني من غير وجه:

الوجه الأول أنني انتمي الى جيل هو حصيلة الثقافة الغربية والفرنسية، بشكل خاص، أكثر مما هو حصيلة الثقافة الإسلامية بجوانبها اللاهوتية والعقائدية. من هنا لا غرابة أن اخشى تراجع فرنسا، امام محاولة الاسلمة، التي هي مساحة تنويرية ومرجعية كبرى للابداع الثقافي فكراً وأدباً وفناً.

أعرف أن الفرنسيين أتوا الى لبنان بجيوشهم وجنرالاتهم، لكن الغزو الثقافي، الذي هو الوجه الآخر للغزو العسكري، كان نعم الغزو لأنه كان بمثابة فتح حضاري نقلنا من عصر إلى عصر. هذا مع أن الغزو العسكري الفرنسي للبنان، كان غزواً ناعماً، قياساً على غزوهم الوحشي للجزائر ولبلدان أخرى، أو قياساً على الغزو العسكري والثقافي للاشقاء والأقرباء، لكي يمعنوا في تخريب لبنان والعودة به الى الوراء على الصعد المدنية والحضارية.

الوجه الثاني أنني أرى أن تراجع فرنسا أمام ازدهار الفكر الطائفي، ينعكس سلباً في بلداننا العربية، بقدر ما يعرقل محاولات الخروج من الفلك الديني الذي تحول الى متاريس وخنادق بين المسلمين قبل سواهم. من هذا الباب نفسه أهتم بالواقع الفرنسي، كما أفعل منذ سنوات، بتناول القضايا والمشكلات التي هي مدار النقاش والسجال، سواء بانخراطي في المناقشة حول مسألة الحجاب التي هي مشكلة دائمة، أو بتقديم قراءتي للاضطرابات التي حدثت في ضواحي باريس عام 2005، أو بتناولي أزمة النموذج الفرنسي الذي كان الأفضل في أوروبا، لكنه استهلك وبات بحاجة إلى التجديد، فيما الطبقة السياسية، بمعسكريها اليميني واليساري، عاجزة عن ذلك، بسبب غياب الرؤى الخلاقة والاستراتيجيات البناءة، التي تتيح اطلاق الطاقات وتأليف القوى لتركيب الحلول الناجعة او اجتراح الاجراءات الفعالة.

تشابك المصائر

ثمّة سبب ثالث أُسوِّغ به تدخلي بالمقاربة والمعالجة للواقع في فرنسا، أو في سواها من دول العالم، فالمشكلة في هذا البلد باتت عالمية، كما هي في بلدي لبنان، أو في أوكرانيا أو في سوريا وليبيا واليمن. هذا معطى جديد هو ثمرة الدخول في واقع كوني سمته التشابك والتداخل في المصالح والمصائر، كما تشهد المعضلات على مختلف المستويات.

مما يعزز هذا المنحى العالمي في التفكير أن الإرهاب، بات، على الأقل، منذ أيلول 2001، ظاهرة عالمية ومعولمة. ليس فقط لأن بإمكانه أن يضرب في أي مكان من العالم، بل لأنه بات يستقطب شرائح من الشباب في المجتمعات الأوروبية والغربية، وبخاصة في فرنسا، سواء منهم المسلمون، أو غير المسلمين، ممن انجذبوا إلى مشاريع الجهاديين الاسلاميين.

ولكن لا ننخدعنّ بالمشروع الأصولي. فالهدف ليس تحرير الناس من الاستبداد والفقر والبؤس. بل صنع نماذج بشرية هي كالروبوتات تتحرك بصورة آلية وعمياء، لتنفيذ قرارات هذا الأمير الجهادي أو ذلك الشيخ الإرهابي، وخصوصاً أن رؤساء التنظيمات الجهادية، لم يكونوا فقراء، بل أثرياء يسخرون أموالهم لتحقيق مشروعهم

الجهنمي الذي يحيل الحياة الى جحيم قبل يوم الوعيد.

هنا تكمن العلة. في العقول لا في الجيوب، هنا العلبة السوداء التي يجدر تفكيكها بمبانيها الفكرية وتراكيبها العقائدية وثوابتها الألفية. لذا لا جدوى من محاولات تلميع صورة الإسلام، كما يحاول من تأخذهم الغيرة، في أوروبا، على الدين الحنيف. كما لا جدوى من النقاشات العقيمة حول ما إذا كان القرآن يحض على الاعتدال او بالعكس على التطرف. مثل هذه المحاولات تشهد على الجهل بتاريخ الاسلام الطائفي، وعلى الجهل بالقرآن نفسه. ذلك ان النص القرآني يقول الشيء وعكسه. لذا يمكن الاحتجاج به للدفاع عن القضية ونقيضها، أو تسخيره لصراع الاضداد على السلطة والثروة، وأحياناً بصورة همجية بربرية.

إن الإرهاب الذي نفزع منه وندينه، نحن من ساهم في صنعه في مؤسساتنا الدينية ومدارسنا الفقهية، أو في جمعياتنا الإسلامية، وأحزابنا الطائفية، سواء في أوروبا أو في البلدان العربية. وكما أن الإسلامي الجهادي هو صنيعة المسجد والدرس الفقهي أو الجمعية الدينية، فالمسلم الفرنسي الذي تحول إلى ارهابي هو صنيعة طائفته بتعاليمها وجمعياتها ومساجدها وطقوسها.

الأزمة العالمية

ميزة المقاربة الفلسفية أنها تتجاوز صدام الثقافات وصراع الحضارات وتضارب الإيديولوجيات، نحو المشكلات الوجودية. كيف لا والأزمة باتت، اليوم، أزمة عالمية كونية، إنها أزمة الإنسانية المعاصرة كما تتجسد في فقدان السيادة على الذات والخطاب والأشياء، أو في تناقص القدرة على التوقع والعجز عن التدبير، أو في كون الحلول للمشكلات تولد مشكلات أعقد وأكثر خطورة، أو في كون الاتفاقات هي مجرد تسويات هشّة أو موقتة. وها هو الرئيس الاميركي أوباما الذي بدأ عهده بشعاره "نعم نحن قادرون"، يبشرنا بأن الحلول تحتاج إلى "صبر استراتيجي"، بقدر ما يتخبط في سياساته بين المواقف المتناقضة والأضداد المتصارعة. هكذا أمارس هويتي العابرة، بقدر ما أنا معنيّ بما يحدث في هذا العالم من الحوادث الجسام،

ولا سيما تلك التي تتهدد المصائر المشتركة والشأن العالمي. من هنا انخراطي في المناقشات العالمية الدائرة حول القضايا الشائكة والازمات المستعصية، لكي أقدم قراءتي وتحليلاتي على قدم المساواة مع نظرائي العاملين في فروع المعرفة، أياً كانت هوياتهم وجنسياتهم واتجاهاتهم.

بذلك أتجاوز الثنائيات التي اشتغل بها المفكرون العرب طويلاً، ما بين عقل غربي، وعقل عربي أو إسلامي. فهي أعادتنا إلى ما قبل ابن رشد والفارابي، بقدر ما شكلت عائقاً عن تطوير مفهوم العقل أو عن ابتكار صيغ عقلانية جديدة، ولا أنسى الذين يعودون الآن إلى هذه الثنائيات المستهلكة بما يعدّ، أيضاً، عودة إلى ما وراء نقاد العقل من الفلاسفة العرب المعاصرين.

غاية القول: إن فرنسا بعد اعتداءات باريس، لن تعود كما كانت عليه قبلها. لأن التحديات الكبيرة، والمهمة جسيمة، لا تتعلق بحقوق هذه الطائفة أو تلك، بل بهوية فرنسا. لذا لا أطالب للمسلمين بحريات لا يستحقونها لأنهم سوف يسيئون إستخدامها، كما أني أطالب فرنسا بأن لا تستسلم للضغوط والتهويلات من جانب اليهود الذين يقول بعضهم: لا معنى لفرنسا أو لأوروبا من دون اليهود. الأحرى القول: لا معنى للعالم من دون فرنسا، بثورتها

وأنوارها، بإبداعاتها واختراعاتها في كل المجالات، كما ساهم فيها الجميع، العريق والوافد، المقيم والمهاجر.

ولكن لا شيء يعود كما كان عليه. فإذا كانت محاربة الإرهاب تقتضي تفكيك العقول المفخخة بعقائدها المقدسة وثوابتها المطلقة، فإن مفاهيم العلمانية والمواطنة والديموقراطية والأخوة والدولة المدنية تحتاج هي الأخرى إلى إعادة النظر والبناء، تطويراً وتعزيزاً وتفعيلاً، في ضوء التحديات والتحولات، وعلى وقع الأزمات والانهيارات، وذلك لصوغ مشتركات جديدة للعمل الحضاري، سواء على مستوى دولة أو منطقة أو على مستوى العالم بأسره.

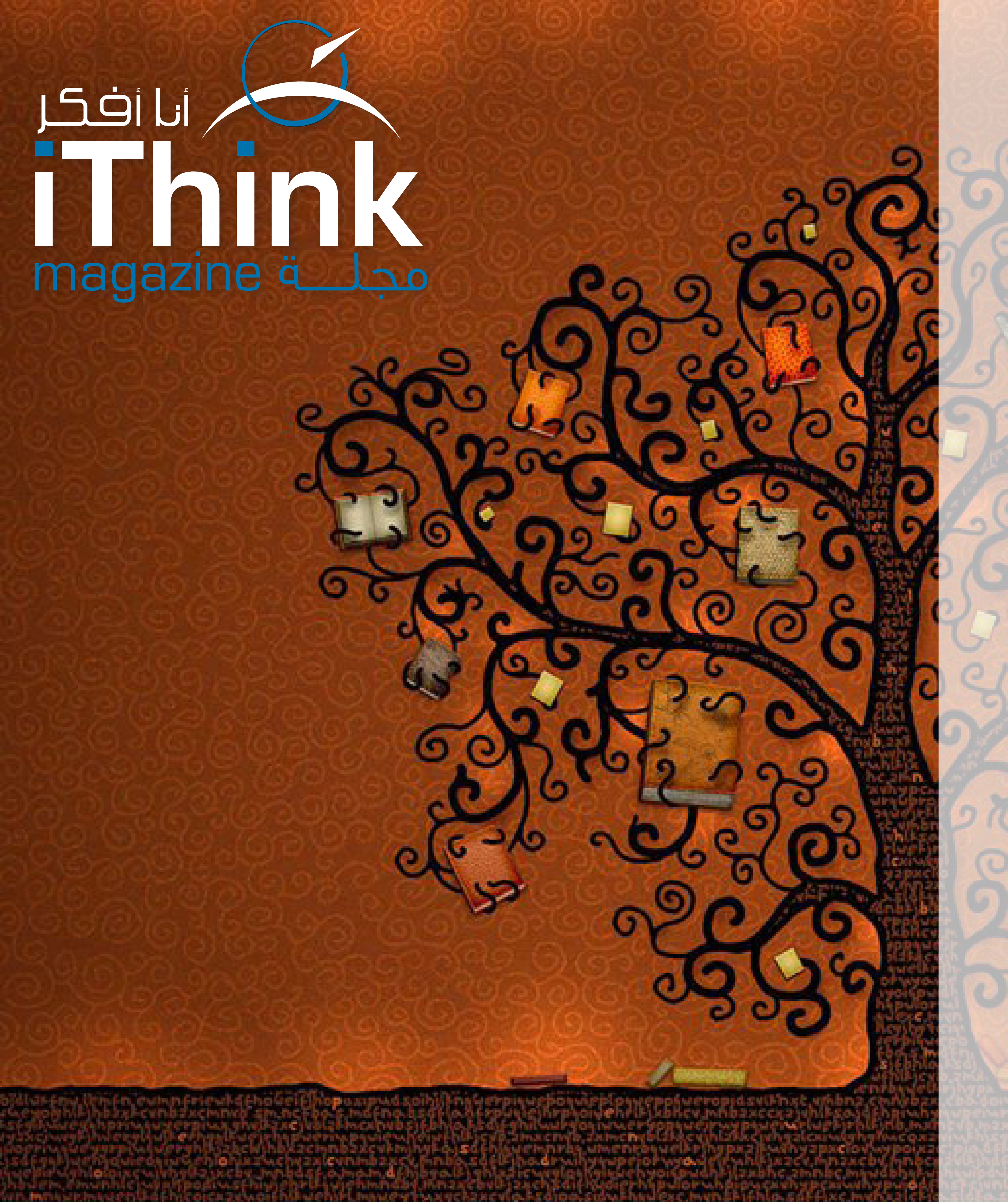
من باب أولى، أن لا نعود إلى الأوراق التي احترقت، كما تشهد النهايات الكارثية للأصوليات القومية واليسارية، فضلاً عن الأصوليات الإسلامية التي استجمعت مساوئ كل ما سبقها، استبداداً وإرهاباً وبربرية.

لذا لا جدوى من العودة إلى شعار "الشيوعية" لحلّ المشكلة، كما يقترح الفيلسوف الماركسي آلان باديو. فهذه وصفة أعطت مفعولها العكسي، بقدر ما ترجم الشعار بضده على أرض الواقع. ولا نجربنّ المجرب لكي نعيد إنتاج الأزمات، مزيداً من الفساد والخراب.

من هنا كان نقدي لعالم الاقتصاد الفرنسي توماس بيكتي الذي وُصف بأنه ماركس القرن الحادي والعشرين، بعد صدور كتابه "رأس المال في القرن الحادي والعشرين"، وكان الأولى به أن يسميه رأس المال في العصر الرقمي. لكن كتاب بيكتي، وإن كان ينطوي على جوانب جديدة مهمة ومفيدة، إلا أنه على صعيد المفاهيم قد أُلف، بعد قرن ونصف قرن، بعدة ماركس النظرية، وهي مدة طويلة حصلت فيها تغيرات هائلة في العالم، وبالأخص بعد انفجار الثورة الرقمية والتقنية، إذ معها تغيرت علاقاتنا بمفردات وجودنا، كالعلاقة بالحقيقة والهوية، او بالمُلكية والقيمة والثروة.

أياً يكن، لا عودة، على سبيل المماهاة أو التقليد، لا إلى ماركس ولا إلى أفلاطون، لا إلى هذا الطوطم أو النبي، لا إلى ذلك المنظّر أو المشعوذ، القديم أو الحديث. فحقيقتنا هي ما نقدر على خلقه وابتكاره أو ما نحسن أداءه وانجازه، بتسليط الضوء على العوائق والمآزق، ولكن مع الإحتفاظ بالمنجزات والمكتسبات، والعمل على استثمارها في مشاريع البناء والإنماء وفي أعمال الإدارة والتدبير. لذا فهويتنا ليست وراءنا، كما يريد الأصولي، المتديّن أو العلماني. وإنما هي أمامنا، كما تتمثل في قدرتنا على التحول بحيث نحسن أن نتغير ونغيّر علاقتنا بالثوابت، لكي نحسن مواجهة التحديات والافادة من التحولات.

ولكن لا مكاسب نهائية في ما يخصّ الحريات والحقوق، التي تحتاج إلى المقاومة الدائمة، كما تجسدها العين النقدية، من المرء على نفسه وعلى سواه. فلا ثقة مطلقة بالإنسان بعد اليوم، على وقع كل هذه الإنتهاكات، من جانب حرّاس المقدسات وحماة الحقوق والحريات. فالبشر ادعوا أنهم ألغوا أنظمة العبودية السياسية والدينية،



لكنهم أنتجوا أشكالاً جديدة من العبودية، كما تجسد ذلك في الأنظمة الشمولية، كالنازية والستالينية والماوية والكاستروية والخمينية، فضلاً عن توابعها ومسوخها في العالم العربي، إذ هي جمعت بين عبادة الشخصية وتقديس النص لتصنع كل هذه البربرية.

هكذا، فبعد عقود من رفع شعارات الكرامة والحرية والمظلومية، وبعد دهر من الدفاع عن حقوق الانسان، نشهد نهاية نموذج الانسان الروحاني والمثالي بآلهته وتهوماته، بتنظيراته وأوهامه، كما تكتب نهايته صناعة الموت والدمار، مع كل طفل يُقتل، أو فتاة تُغتصب، أو بيت يُقصف على ساكنيه، أو عائة تهجَّر من ديارها، او سجين يعذَّب ويُقتَل او يُحرَق ويُدفَن حياً. يا لها من همجية تمارس على الأرض العربية، وسط صمت العالم وتفرجه بل تواطئه وتآمره كما يؤدي دوره، المشبوه أو الملغوم، على المسرح اللبناني والعربي، بشكل خاص، اللاعبون الكبار والصغار: الشيطان الأميركي والطاووس الايراني، الدب الروسي وأتاتورك الاسلامي، ولا أنسى الوحش الداعشي الذي هو صنيعة الجميع.

مما يعني أن الأولوية، على الصعيد الفكري، هي لوضع مفهوم العقل أو التنوير، وبالأخص مفهوم الانسان، على مشرحة النقد والتحليل لفتح أفق جديد للمعنى تجترح معه صيغ ومفاهيم وقيم مختلفة لإدارة العلاقة بين البشر. فما ندافع عنه ونعلي من شأنه هو بالذات ما نجهله وما يصنع المشكلة.

الشيطان في الاسلام - دراسة تحليلية

الطيب عبد السلام

يقول الراحل عبد الله القصيمي أن الاديان تنتصر في المعارك التي تتجنبها!! لذلك ظلت محافظة على انتصارها ذاك لقرون طوال!! على الرغم من تلقيها للانتقادات الصعبة من رجال العلم و الفلسفة و المستشرقين و المشتغلين على قضايا التنوير!! الا انها ظلت محافظة على تأثيرها القوي غير القابل للتزحزح في اعين الكثير من الناس!! لأنها تجنبت تلك المعارك عبر اليات غاية في الذكاء و التضليل!!
اذا نظرنا في الميثيلوجيا الدينية سنجد هنالك رمزاً غاية في التأثير الا و هو فكرة الشيطان!! هذه الفكرة الخطيرة التي تبناها الاسلام و دافع عنها بقوة! هي التي وضعت الاخر برمته في صورة غير صورته الحقيقية!! بل و البسته قناعاً من صميم الخيال المخيف الذي ظل العقل البشري ينتجه!! أن تصوير عدم انسانية الاخر و عدم انتماؤه للعالم البشري يترك الفرصة واسعة لتبني خيارات مسبقة اكثر عنفا له و اكثر تبريراً لكراهيته و الانتقام منه!!

و لعلك حبي ستستمع من مجتمعك هذا افكاراً راسخة و حتمية حول ان ثمة مخلوق اسمه الشيطان يوسوس بل و يملي القول لمنتقدي النظرة الدينية للامور!! ولعلك حبي ستشعر بحيرة ما بعدها حيرة حول تلك اليقينية الثابته حول فكرة مثل هذه!! بل و أن وجدت في وسط مسلم فلا تستغرب ان يربطوا بين اي تصرف من تصرفاتك مع أمر معين يخص دينهم كشعورك بالضيق مثلاً بينما هم يتلون خرافاتهم المقدسة!!

أن ترسيخ قيمة مثل تلك «شيطنة الاخر» انما هو عصب لعيون العامة و السذج عنك و عن فكرك!! فلا يقربوه او يناقشوك فيه لأنك لست

مخلوق بشري مثلهم!! بل مخلوق شيطاني قادم من الفضاء الخارجي!!! فبالتالي تحدث في حقك عملية المصادرة و الامتصاص الكلي في عيون العامة عبر اخراجك من بشريتك
و ادخالك في عالم هو اشبه بعوالم «ابطال الديجتال» التي تعرض للاطفال!! ولعمري حتى الاطفال يعرفون انها من قبيل الخيال!! هنا مربط الفرس
و من هنا سوف نمضي في قادم المقالات لنتحدث عن فكرة « الخيال المقدس» بغرض الحديث عنه بصورة عقلانية تنزع من حوله اشواك التوجس و الاعتقاد المطلق.

ان فكرة الشيطان نفسها مبنية على جدلية فلسفية اكثر قدما!! بل و معروفة في سالف الحضارات و الازمنة حول فكرة الخير و الشر!! اي فكرة الخير المطلق و الذي يلعب دوره الله و حاشيته و بطانته و قسسته و ائمته و الشر المطلق الذي يلعب الشيطان و الفلاسفة و المهرطقين و الزنادقة و الفنانين دوره!! و قد استفاد الاسلام من هذه الثنائية اعظم الفوائد عبر تبنيه لتلك الاطروحة القديمة بتصوير الاخر على هيئة الشيطان ذلك المخلوق الاسطوري الناري المخيف الذي طرده الله من الجنة لأنه عصى امره الى اخر القصة!!.
و لأن الاسلام قائم على فكرة انه الحقيقة المطلقة و الخير المطلق و ما سواه هو الكفر و الضلال و الشر المطلق لذلك كان لا بد له من ايجاد مرموز سيميلوجي غاية في البشاعة و السوء لتصوير الاخر!!
فكانت فكرة الشيطان!! تلك الدمية الدميمة الخارجة عن سلطة السماء لايذاء البشر و النيل منهم!!
و حتى اذا راجعنا السيرة النبوية سوف نرى تدخلات واضحة لهذا الشيطان الذي اسمه « ابليس» في بعض المواقف المصاحبة للسيرة النبوية!! و سنجد ان تدخلاته تلك تتصف بصفتين اساسيتين :

١/صفة الذكاء و الدهاء.
٢/صفة المكر و الخذلان و التخلي عن الحلفاء.
فالموقف الاول تجلى عند دخوله لذلك الاجتماع المهم لسادات مكة في منتداهم على هيئة رجل و طرحه لطريقة غاية في الذكاء لاغتيال محمد!!بأن يأخذوا من كل قبيلة رجلا فيضيع دمه بين القبائل الى اخر القصة
و الصفة الثانية تتجلى عند رؤيته لأنهزام قريش امام جيش محمد و تبرؤيه منهم و هربه اول المعركة عندما رأى جيوش الملائكة و قوله لمن سألؤه عن سبب تراجعه انه قال لهم انه يرى ما لا يروه!!

هنا لا بد لنا من وقفة قوية جداً حول قضية الخلط الواضح بين الواقع و الخيال و تصوير الخيال على انه جزء اصيل من الواقع!! بغرض ايهام المتلقي على صعيد الخيال ببطولات غيبية لا يراها هو تساند موقفه الواقعي الذي يعايشه و يمارسه!! و بالتالي سحب وعيه من بساط الواقع العلمي الى بساط واقع خيالي وهمي بحيث انه اذا حدثت اي خسارة او هزيمة على الصعيد الفعلي يتم تبريرها بالواقع الغيبي!! ذلك الواقع المختلف بصورة كبرى عن الواقع الفعلي!!

بصورة اوضح فأننا نجد انفسنا ازاء عالمين متماهيين مع بعضهما و مختلفين في ذات الاوان!! اعني عالم الخيال الغيبي الذي يتصل معه محمد لوحده بل و السيرة النبوية تعج بأمثال تلك القصص حول اتصال محمد بعوالم الجن و أنه جلس معهم و حادثهم بل و نزلت عليه سورة ازاء ذلك التواصل مع ذلك العالم!! بل و حول قصصه التي لا تنتهي حول اتصاله مع الملائكة و مسوخ البشر و تحولاتهم بين العوالم.
و العالم الاخر هو العالم الماثل امامنا بكل معطياته!!

بمعنى ان المعركة ضد الباطل و الكفر « الاخر» ليست لها صعيد واحد!!

بل لها اصعدة اخرى في عوالم اخرى هم لا يعرفونها و لا يرونها لأنهم لا يتمتعون بقدراته الخارقة في معرفتها و التواصل معها!!
هذا يخرج النبي البشري نفسه من دائرة العادية الى الدائرية القدسية و الغيبية و الارتفاع فوقهم و انعزاله عنهم بهالة من الخيالات و التصورات لكي يواجه بهم اخراً ايضا تم اخراجه من فكرته الطبيعية المحسوسة الى دائرة غيبية شيطانية تصادر منه حقه و طبيعته العقلية المحض في الاختلاف و التناقض و الرفض.
و بهذا يحقق الدين غرضين مهمين في ظني و هما :
اولاً : منح النبي صفات غيبية كبرى تجعله متفوقا عليهم عبر قدراته في التواصل مع اخر مناقض له.

ثانياً : تغذية الخوف و الكراهية تجاه الاخر عبر اخراجه من صورته الطبيعية الى صورة «دمى الزومبي» التي تخيف الاطفال و ترعبهم.
بهذه الحيلة الذكية و المشتغل عليها تمكن الاسلام و غيره من الديانات من البقاء على ظهر البسيطة طيلة قرون خالية و اخرى قادمة!! حول تجنبه لمعارك الحاضر الواقع باستدعاء معارك وهمية خيالية سيجابهها هو بنصوصه المقدسة و برجاله الملتحين و المعتمين و حتى بدولته ان استطاعت الخرافة نخر عقول العامة و تمكنت منها.

اننا نقول بأن الخير نفسه قضية نسبية بحت!! و كذلك الشر نفسه!! قضية نسبية بحت!! فلا يصح في ظني القول باطلاق الخير او حتى باطلاق الشر!! فكلتا المنظومتين ان صح هذا التمييز اللغوي تحملان من النقص ما تحملان و تحملان من الكمال ما تحملان.
لقد ولى زمان الحقائق المطلقة!! و الاحكام الثابتة المسبقة!! و اتى زمان النسبية!! بل و العالم نفسه اليوم يتحدث عن ما بعد النسبية و عن ما بعد الحداثة!! ونحن راسخون في اغلالنا مقيدون بعجزنا و خبالنا.



انه لمن المضحك بمكان التحدث عن شئ يسمى شيطان يترصد اخبار السماء ليملي بها على السحرة
و الفلاسفة واصحاب المواهب تلك الامور الخارجة عن وعي العامة!!
و من المضحك اكثر تلك المحاولات المستميتة في جر تلك الخيالات من قرونها ليراها العامة فيفتتنون بها و يصدقونها.
انني لا اجد عجزي عن فهم الكثير من الامور فضيلة!! و لكنني ارى في ادعائك معرفتها مصيبة!!
فهاهو الدين يرتجف ارتجافا و هو يرى ظاهرة الكسوف العادية فيصورها لهم على انها تخويف من الله و لا بد من الصلاة و التسبيح في ذلك الوقت بدلاً عن التنقيب و البحث حول الظاهرة!! بل و الكارثة ان الدين تبنى تلك الفكرة كفكرة نهائية غير قابلة للنقاش او التعارض.
ما علينا من ذلك شئ!! ما علينا!!

ان المأزق الحضاري الكبير الذي نمر به اليوم اكبر بكثير من هذه الخرافات و الاوهام التي اقصى ما تصلح له هي حرمان الاطفال من النوم!! اشد تعقيداً و مرارة من التعلق بتبريرات وهمية كهذه حول واقع الاخر
و ما ناله من سعادات حضارية و مدنية لأنه انشغل بالدنيا التي زينها له الشيطان فعمرها و سعد فيها و ان واقعك الحضاري المخجل هو ناتج عن تمسكك بالدين و خيالاته و ازهادك في حياتك لصالح قلة طفيلية من ائمة الجوامع و قراء القرأن و علماء الحيض و النفاس.
ان اشد الشياطين كراهية للادمي لن يوصلكم عشر الانحطاط الحضاري المعاش الذي اوصلكم له نبيكم و رب نبيكم و كتابه!! لقد رأينا واقعكم المخجل و المخزي و نقول لكم بصريح العبارة :
اخرجوا الشياطين من مصابيح علاء الدين علها تنقذ منكم ما يمكن انقاذه.

الاستلاب العقائدي

الاستلاب العقائدي، هو أن تقتنع المرأة بدونيتها تجاه الرجل، وتعتقد جازمة بتفوقه، وبالتالي بسيطرته عليها، وتبعيتها له.
والاستلاب العقائدي هو أن توقن المرأة أنها كائن قاصر، جاهل، ثرثار، عاطفي، لا يستطيع مجابهة أي وضعية بشيء من الجدية والمسؤولية، وبالتالي لا تستطيع الاستقلال وبناء كيان ذاتي لها.
والاستلاب العقائدي، هو أن تعتقد المرأة أن عالمها هو البيت، وأن الزوج والأولاد والأسرة تشكل حدود كيانها. والاستلاب العقائدي، هو في تنمية إمكاناتها كأم وخادم، وطمس كلّ ما عداها من إمكانات مهنية إنتاجية.
الاستلاب العقائدي هو في يقين المرأة بأن جسدها عورة وبأن هذه العورة يجب أن تستر، من خلال الأب والأخ، والزوج والابن بعدهما، وبأن الشرف بالنسبة إليها هو في الحفاظ على هذه السترة.
والاستلاب العقائدي هو تبنّي أسطورة حواء بضعفها واحتيالها، ومكرها، وغيّها، حواء مجسدة الآثام والشرور ومصدر كل غواية. والاستلاب العقائدي هو أيضاً على عكس من ذلك تبني أسطورة الأم المتفانية في خدمه أولادها وزوجها، تلك التي تتلخص سعادتها في استنزاف ذاتها تحت شعار العطاء.
والاستلاب العقائدي هو أن تشعر المرأة أنها تحقق ذاتها، وتصل غاية وجودها من خلال القيام بالأدوار التي تناط بها، وأنها عبء، طالما لم تصلح أماً. وإذا كان لكيانها من معنى فهو في هذه الصفة تحديداً.
والاستلاب العقائدي هو في النهاية أن تقتنع المرأة في أعماقها أن من واجبها الطاعة للزوج وللأب قبله، وأن لها عليهما حق الستر والحماية والإعالة، وأن طبيعتها تتلخص في جسد يلبس وقوام يجذب ورحم ينجب، ولسان يشكو ويتطلب ويكذب، وأيدٍ تطهو وتغسل وتمسح.
من خلال هذا الاستلاب يصل القهر أقصاه، لأن المرأة تعتز عندها بمظاهر قهرها، وتعرّف نفسها من خلال استلابها. وبالتالي فإن هذا الاستلاب يطمس إمكانات الوعي بوضعها، ويطمس الرغبة في التغيير، كما يطمس القدرة على التحرير. وهكذا تفتح أبواب استغلال المرأة على مصراعيها، وتكون هي المتواطئة الأولى على مصالحها الحقيقية.
المهم أن الاستلاب العقائدي للمرأة وما يتلقاه من تعزيز دائم من الخارج ومن الذات في آن معاً، يحكم عليها رهينة وضعية القهر، لا هي تعيها، ولا هي تقبل أن تغيّرها. إنها تتمسك بها باعتبارها طبيعة الأنثى وقدَرها، وينعكس ذلك لا محالة على التغيير الاجتماعي بأكمله فيكبحه لا محالة. لا تطوير دون تغيير وضعية المرأة، ولا تغيير لوضعيتها دون تمزيق حجب الاستلاب العقائدي التي تمنع عنها رؤية ذاتها، ورؤية العالم على حقيقته.

من كتاب سيكولوجية الإنسان المقهور
مصطفى حجازي
218 - 220

أنا أفكر
iThink
magazine مجلة

الطبيعة تتحكم بالحكمة الإلهية ...

قبل فترة , سألت عن سبب خلق الله للديناصورات ثم القضاء عليها بواسطة اصطدام كويكب بالكرة الأرضية (مع العلم أن هذا الاصطدام لم يذكر في الكتب السماوية في حين ذُكرت قصة نوح اليونانية الأصل) لم يملك إجابة واضحة إلا الإشارة للحكمة الإلهية حيث قال بالحرف : لله حكمته ..ولن تعرفها إلا بعد الموت في حين البحوث العلمية والنظريات أوجدت معظم الإجابة عن الديناصورات والكائنات التي قبلها وبعدها , وماذا حلَّ بها , وكيف عاشت ثم انقرضت , وكل ذلك خلال فترة زمنية معينة , لم ينتظروا الموت يحل بهم حتى يعرفوا الإجابة . وهذا بالنسبة لي ..مع العلم أن الموت يحدد كثير من الإجابات , لكن هل هذا يعني أن أعيش على إيمان غيبي وبدون إجابة ! لقد تمحصت الحكمة الإلهية فيما ورد فيها من أمثلة , بالبداية كان سؤالي : ما الحكمة من حكمة لا يعرفها إلا «الحكيم» ؟ انعدام الحكمة , إن لم تتعظ من حكمة ما أو إنها لم تحرز قوتها في عقلك أو لم يكن لديها تأثير ما في آلية عملك , لا فائدة لها مطلقاً , فما بالك بحكمة « لا تعرف ماهيتها أو حتى لا تعرف «حكمتها ..والله يمتاز في هذا بل يكاد أن يستحق اللقب « حكيم بلا حكم « . في حين أنه لا وجود لحكمة «منطقية « من خلق الديناصورات , لا وجود أيضاً لحكمة لخلق آلاف المجرات وملايين النجوم والكواكب والأكوات , كل ذلك لأجل بقعة أرضية خلق الله فيها مجموعة من البشر ثم قسمهم ووزعهم إلى مجموعتين : أهل نار وأهل جنة . وبدون أن نعرف آلية الخلق حتى , كل ما يذكر أن « الله رفع الطين من الأرض ثم بنفخة سحرية أصبحت إنسان « في حين العلم أوجد آليات نشوء الكائنات الحية بل أيضاً إلى مكونات الكائنات (الجدير بالذكر أن الأديان لم يذكر فيها إلا معلومات ظاهرية عن الإنسان ..عن جسمه)

آلية الخلق أوقعت كثير من مدعي الإعجاز العلمي في حفرة علمية ..فقد ربطوا كل نظريات العلمية بآياتهم (الأنجيل والقرآن) لكنهم عجزوا في ربط نظرية الخلق الأولى مع النظريات العلمية , فكيف ستقنع عالماً بأن الإنسان خلق من طين دون ذكر كيفية تحول الطين لإنسان !؟ لكن على كل أحوال ..هذه الحكمة الآلهية التي لن نعرفها إلا بعد الموت (إذا كان يوجد بعد أصلاً) , وأفضل مثال سمته عن هذه «الحكمة « في أحدا حصص مادة الأحياء ضرب المدرس مثالاً عن حكمة الله في درس الجهاز التناسلي لدى الإنسان فقد قال بالحرف : الخصية الذكرية تقع خارج الجسم لأنها لا يمكنها العمل داخل حرارة الجسم ...وهذه حكمة الله وتصميمه الذكي في المخلوقات . أول سؤال يخطر لإنسان عقلاني علمي شكوكي (وأعتبر هذا تصنيفات ..تعريف مثالي للملحد) إذا كان الله قادر ..فهو يقدر على خلق «الخصية» داخل الجسم ..بل أنه قادر على أن تعمل أفضل ما هي في الخارج ولحكمة إلهية ما ..فرضت قوانين الطبيعية البيولوجية قوتها على قدرة الله (لا أعرف كيف يتشككون من الطبيعية ..كقوة !) إذاً العلم يفرض على إمكانيات الله !؟ على سبيل المثال , الأوكسين يعد ضرورياً للكائنات الحية وهذا يعد حكمة إلهية (حسب ما قاله مدرس الأحياء أيضاً) ..أي على الإنسان أن يشكر ربه بأنه لم يخلقه في كوكب لا أوكسين فيه ; على رغم من أن الله» القادر» يستطيع أن يخلق حياة مثالية في فراغ كامل ! إذاً فرضت جزيئات الأوكسجين قوتها على قدرة الله ..أيضاً . إن دراسة النظريات الفيزيائية أو دراسة الطب والبيولوجيا أو دراسة جولوجيا , سنعرف أن للحكمة الإلهية ليست فقط لها حدود بل لها مناقضات بما يكفي لإنكار هذه الحكمة من أساسها ....إذاَ يا زميلي ..بعد الموت لن تعرف شيئاً عن الحكمة لأنك أضعتها في حياتك

مدخل لفهم تطور الاخلاق وأصول الإيثار عند الانسان

هيومنست

على مدى اكثر من الخمس عشرة عقدا المنصرمة، جهد علماء الاحياء التطورية والانثرپولوجيا – علم الأنسان – لتطوير رؤية علمية شمولية تؤسس لفهم أصول الحس الأخلاقي لدى الانسان ضمن إطار المنهج العلمي. تاريخيا، كانت دراسة الاخلاق تعد مبحثا دينيا او فلسفيا او اجتماعيا. ولكن ومع اتساع رقعة الايمان بالمنهج العلمي التجريبي ومصداقيته كطريقة موثوقٍ بها لفهم ظواهر العالم الطبيعي في أواسط القرن التاسع عشر، أخذ الأحيائيون والانثروپولوجيون على عاتقهم محاولة دراسة الاخلاق وفق رؤية علمية تلتزم بمبادئ الطريقة العلمية.

ان محاولة علماء الاحياء لدراسة الاخلاق كظاهرة طبيعية كانت في بادئ الامر مزعجة بلا شك للثيولوجيين والفلاسفة وعلماء الاجتماع. الا ان العقود الثمان المنصرمة قد شهدت تحولا جذريا عند من كانوا بالأمس معارضين لهذه الفكرة، ليصبحوا مهتمين و باحثين فيها هم ايضا، فالكثير من الفلاسفة المعاصرين في يومنا هذا لا يناقشون الاخلاق بمعزل عن الرؤية العلمية الحديثة. توج هذا التحول متسارع الاطراد بدخول دراسة الاخلاق البشرية كمبحث علمي جاد على يد العديد من الأحيائيين والانثروپولوجيين و وسواهم من ذوي الاختصاص من أمثال ايد ولسن، وفرانس دي ڤال، ودونلد كامبل، ورتچرد اليكساندر، و وليم هاملتن، و اميل دركهايم، و كرستفر بويم، و ميري ستاينر، و گريگ ستانفرد، و مارتن نوارك، و سيرَا كوكلي، و مات ردلي وسواهم الكثير. بل يكاد ان يعد اليوم مبحثا علميا قائما بذاته.

ان دراسة الوعي الاخلاقي و حس الضمير كظاهرة ناشئة في الكون بصورة طبيعية هي بلا شك احدى كبرى التحديات التي اخذها علماء الاحياء والانثربولوجيا التطورية على عاتقهم. فهم يسعون لتفسير القيم الاخلاقية الانسانية كجزء من الطبيعة بمعزل عن الخوارق الميتافيزيقة. هذه الدراسة ازعجت وتزعج بلا شك الكثير من اللاهوتيين الذين يرفضون النظر الى الاخلاق كمبحث علمي.

لقد كانت احدى التحديات التي حيرت العديد من علماء الاحياء، ومن أشهرهم چارلز دارون، هي تفسير نشوء الاخلاق وروح الإيثار عند الانسان. ان كانت الغريزة السائدة عند الانسان للبقاء على قيد الحياة والتكاثر هي»الأنانية»، فلماذا نجد البشر ينخرطون احيانا في الإيثار والتضحية بالنفس من اجل الاخر؟ وكيف تمكن الانسان من الارتقاء للوصول الى أفكار مثل الفضيلة والعار لتبرير الإيثار؟

لقد وُضعت العديد من الفرضيات لمحاولة فك أحجية نشأة الاخلاق. كانت من أولها فرضية محاباة الأقرباء «nepotism»، بينما نادى اخرون بمزايا فرضية الإيثار كمعاملةٍ بالمثل «altruistic reciprocity»، ونادى آخرون بفرضية الإيثار بفعل الإصطفاء ضمن المجموعة «group selection». وجميعها فرضيات لها أدلتها الإحصائية الجيدة. ولان هذا المقال ليس هو المقام المناسب لشرح جميع هذه الفرضيات، لتداخلها و تشعبها و صعوبة إيفاء كل منها حقها في بضع اسطر، فلقد ارتئى كاتب هذه الاسطر المتواضعة التركيز على رؤية جديدة و أنيقة لعالم الأنثروبولوجيا التطورية كريستوفر بويم الذي قدم في كتابه «أصول الاخلاق» بحثا عميقا في كل من هذه الفرضيات، وأضاف اليها رؤيةً خلاقةً تصف لنا نشوء الاخلاق وصفا علميا متماسكا.

بتتبع تطور الإيثار والرقابة الاجتماعية عند المجموعات البشرية على مدى

اكثر من مليوني عام ، يؤسس بويم لفرضية مفادها أن الحس الأخلاقي لدى الانسان هو آلية دفاعٍ متطورة تُمكن افراد المجموعة من البقاء على قيد الحياة والنماء في مجموعاتٍ ستكون اكثر قدرة على الصمود بوجه التحديات التطورية. فإحدى أكبر المخاطر التي تواجه اي فرد يعيش ضمن مجموعة بشرية هو إمكانية تعرضه الى عقاب على الافعال التي تسيء الى مجموعته. فاللصوص، والقتلة، والمستأثرين لخيرات مجموعتهم، والسايكوباثيين، والمخلين بأمن المجموعة، يجعلون من حياة مجموعتهم متعذرة، ولذلك سيكونون اكثر عرضة للعقاب. ان المجموعة ستجتث الأفراد الذين يسيؤون اليها، وبذلك تتناقص أعدادهم باطراد جيلا بعد جيل، وتُجتث جيناتهم تدريجيا من المجموعة، لتصبح المجموعة بذلك اقدر على البقاء من تلك التي لا تجتث العابثين بامنها. يعرف هذا النوع من الاصطفاء بالاصطفاء الاجتماعي. «social selection»

ان البقاء البشري يتطلب منا ادقان فن التعايش مع بعضنا البعض دون مشاحنات. فكثرة المشاحنات داخل المجموعة ستؤدي الى تعاون أفرادها على المسيء لتقتص منه، فتتضائل بذلك فرصه في البقاء، وتتراجع بذلك كمية الجينات الأنانية داخل المجموعة لتعطيها فرصة اكبر على البقاء. هذا النوع من الاصطفاء الاجتماعي، يصطفي اؤلائك الذين يمتلكون نزعة الإيثار بينما يجتث اؤلائك الذين يمتلكون نزعة الأنانية. ان هذا الضغط الاصطفائي يعد فريدا من نوعه في تشكيل الطبيعة البشرية، والذي ولَّد أولى شرارات الضمير في الجنس البشري. فان كنت فردا لا تدرك على سبيل المثال ان سرقة طعام غيرك في المجموعة امر مرفوض، فان العقوبة ستكون مصيرك عاجلا ام اجلا، وقد تضطر المجموعة لطردك منها، فتتضائل فرص بقائك وتمريرك لجيناتك تضاؤلا جما. ان هذا الضغط بالاصطفاء الاجتماعي قد أدى في نهاية المطاف الى تطور حسٍ كامل بالفضيلة والعار كما نعرفها نحن اليوم.

لقد آلت المجتمعات البشرية الى ما هي عليه اليوم من قيم اخلاقية بفضل فرض أعضاء المجموعة على بعضهم البعض كَمّاً من السلوكيات الأخلاقية والقواعد الاجتماعية التي تؤسس للاقتصاص من المسيئين بأمن المجموعة. فالاصطفاء الاجتماعي يحدد في نهاية المطاف قدرة المجموعة على الاستمرار على قيد الحياة كمجموعة مترابطة، وأسفر عن استراتيجيات تطورية منفعية تعزز نشأة الضمير والإيثار.

لقد تم التعامل مع أفعالٍ مثل الغش، والسرقة، والخداع، والقتل بإسلوب منهجي منذ فجر نشوء العرق البشري الحديث من خلال استخدام التعيير، والنبذ، وإجراءات قصاصية أخرى. كما ان نزعتنا بالأحجام وترددنا وخوفونا من الانخراط في أعمال غير أخلاقية غير مقبولة من المجتمع يمكن ان تعزى الى تكَيف وراثيٍ جيني تحده الضوابط الاجتماعية الذاتية « social self controls » كَضغطٍ اصطفائي. ان حفظ الغضب طي الكتمان، و كبت العداء، وتجنب العزلة الاجتماعية اثناء التعرض لآلام عاطفية، وتجنب الرفض من قبل المجموعة، وعدم استغلال الآخرين، تعد برمتها صفات منفعية للمعيشة الجماعية المستقرة.

ان الميزة البيولوجية المنفعية النابعة من فرض قواعد السلوك الاخلاقي على الإفراد يمكن ان تعزى أن كون المجموعات اقدر على البقاء من الأفراد. فالقواعد التي تشجع على تقاسم الغذاء مثلا تجعل المجموعة اكثر تماسكا، كما ان الحروب تخاض وتكسب بشكل افضل عندما يكون الإيثار في اعلى درجاته داخل المجموعة. تتطور الثقافة، و يتم تمرير المعرفة من جيل إلى جيل، ووتتسارع وتيرة الابتكارات جيلا بعد جيل لتزيد من قدرة المجموعة على البقاء اذا ما امتلكت تلك المجموعة روح الإيثار بين أفرادها. لذا نجد ان الإيثار صفه ستصطفى طبيعيا من قبل المجموعة ان عاجلا او اجلا. وهذا ما يجعلنا نحترم الكريم ونموت الئيم، لاننا ندرك منفعية الكرم و فائدته ان

ساد في المجموعة، ونخشى في الوقت ذات من تفشي اللؤم بيننا لاننا نعتقد بان ضرره كبير على المجموعة اذا ما عمل به كل فرد. ان المنفعية هي صفة محركة للاخلاق

ان ثمن كل هذه المنافع النابعة من الإيثار هو ان يخضع كل فرد في المجموعة نفسه للقواعد الاخلاقية لتلك المجموعة.، اي ان نخضع الاحتياجات والدوافع الأنانية لقواعد الإيثار الجماعي .و على مدى آلاف السنين، بما لا يقل عن عشرة آلاف جيل، ادت الإجراءات العقابية المتواتر تطبيقها من قبل المجموعة على أولئك الذين يحيدون عن قواعدها الاخلاقية الى نشوء ظاهرة تعرف« بالاصطفاء الاجتماعي» كما يسميها بَوِيم ، والتي تعد ضغطا تطوريا يصطفي الإيثار ويجتث الأنانية.

السبب المبدأي الذي قاد هذه الاستراتيجية الإيثارية الى البقاء الى يومنا هذا هو جيناتنا الموروثة. أولئك الذين يملكون جينات إيثار ستمكنهم جيناتهم من التعايش جنبا إلى جنب مع سائر أعضاء المجموعة الآخرين، لذلك فان المجتمع الذي يمتلك جينات تعرب عن الامتثال للمجموعة سيكون الأزهار مصيره.

ما هي قوة الاصطفاء الاجتماعي في صياغة الطبيعة البشرية مقارنة بالاصطفاء الجنسي والاصطفاء الطبيعي؟ ان الإجابة هي ان الاصطفاء الطبيعي والجنسي هما اكثر حضورا كضغط تطوري لصياغة الطبيعة البشرية. فكل ما نحن بحاجة اليه هو قراءة عناوين الأخبار لهذا اليوم لنعلم أن الاصطفاء الاجتماعي ليس بتأثير الأُخْرَيَين. فعدد لا يحصى من المجتمعات في جميع أنحاء العالم ترضخ تحت سيطرة حفنة قليلة من القتلة الذين يستبيحون دماء سواهم من بني البشر، والغشاشون تتراوح أعمارهم من صغار العمر الى كبارهم، بصرف النظر عن مستواهم التعليمي والانتماء السياسي أو الديني والعرقي.

ويبدوا لنا ان السلوكيات اللاأخلاقية لا تعترف بالحدود، فالحكومات المنتخبة بالديمقراطية، والأنظمة الاستبدادية غير المنتخبة تعاني كلاهما من الفساد،

على درجات متفاوتة. بل ان تاريخ الشعوب يزخر، بما تم تسجيله عبر الأزمان من مكر وأنانية وظلم الانسان للانسان، دون رادع حقيقي، حتى بعد مئات السنين والآف التجارب السياسية والدينية والاجتماعية. يبدوا ان الخير والشر طبيعتان متأصلتان في العرق البشري.

وهنا نتسائل، اذا ما كان يمكن لنا ان نعزو الإيثار الى جينة متوارثة عبر الاجيال، فلم لا يكون الاصطفاء الاجتماعي بقوة سواه من استراتيجيات التكيف التطوري الاخرى؟ ان احدى الاجوبة البسيطة هو مدى حداثة عهده وعدم وجوده لفترة طويلة بما فيه الكفاية لتمكنه من اجتثاث الجينة الأنانية لتصبح صفة متنحية . نحن بحاجة إلى عشرات الألوف من الاجيال لاجتثاث الجينات الأنانية التي هي اقدم وجودا، وهذا ما يفسر لنا وجود اناس بيننا غير قادرين على التصرف الاخلاقي ، ضعيفي الضمير، قليلي الإيثار، لا يقيمون الفضائل الاجتماعية الجيدة. يبدوا لنا ان الاصطفاء الاجتماعي هو الكفيل باجتثاث صفة الأنانية .

أن السمات والسلوكيات الاخلاقية للمجتمع الإنساني الحديث نشأت قبل حوالي ٤٥،٠٠٠ عام مضت ، حيث بدأت العديد من الرسومات بالظهور على جدران الكهوف، وكذلك الحلي المزخرفة ، وأدوات جديدة مبتكرة، والعديد من الأسلحة، وطرق الدفن في أوروبا الغربية. الا ان هذا التاريخ لا يزال غير مفروغ منه. فبعض علماء الآثار، و علماء الأنثروبولوجيا، يدركون بأن هناك سوابق للسلوك البشري الحديث سبق ذلك التاريخ بكثير. ويمكن أن يعزى إلى حوالي ٢٠٠،٠٠٠ عام مضت على الأقل، هذا إن لم يكن ضاربا في القدم.

ان تحليل السلوك الأخلاقي ضمن المنظور التطوري، كما فعل كرستفر بويم وسواه من علماء الاحياء والانثروبلوجيا، هو أمر بالغ الأهمية إذا ما أردنا أن نفهم لماذا وكيف نشأت الأخلاق عند البشر، يمكن ان نعد كتابه «أصول الاخلاق» شديد الأهمية لهذا السبب. ان الرؤية الفلسفية والدينية والسياسية

والاجتماعية للاخلاق غير كفيلة لوحدها لفهم نشاة وتطور الاخلاق عند الانسان.

الا ان هناك حقائق مهمة لم يتناولها كتاب كرستفر بويم، كحقيقة كون الدماغ البشري يسيطر على كثير من الافعال ذات الصلة من الناحية الأخلاقية، فالهرمونات والناقلات العصبية تؤثر على المزاج والسلوك السلبي وبالتالي ستؤدي احيانا الى تصرفات غير مقبولة اجتماعيا، و كما ان الدماغ قد يقوم بتحفيز سلوكيات مسيطر عليها بمسارات عصبية يمكن لها ان تؤدي الى الإدمان على تصرفات مدمرة اجتماعيا، وهناك ايضا امكانية تعرض الإدراك الواعي المعقد لفقدان صوابه بتعرضه للأمراض العقلية. كل هذه العوامل المتداخلة في تفسير الأفعال الأخلاقية يجب ان تدرس جيدا من اجل محاولة لفهم افضل لكيفية عمل هذه السلوكيات التي نصفها بالاخلاقية، والتي تحسن أداء المجتمع.

اخيرا، اقدم بين يدي القارئ الكريم المهتم بفهم طبيعة الاخلاق البشرية ونشأتها مجموعة من الكتب العلمية المبسطة والميسرة. ان بإمكان اي قارئ مهتم بفهم الاخلاق باستكشاف ومناقشة العديد من الافكار الرائعة عن الأخلاق البشرية من خلال هذه الكتب التي علمتني الكثير عن الخير والشر، الحب والكراهية، الأنانية والإيثار، من منظور علمي رصين. الكتب المدرجة أدناه تتناول مجموعة واسعة من المواضيع العميقة التي لا غنى لنا عنها لفهم نشاة وتطور الاخلاق البشرية. هذه الكتب ستقدم تحديا للقارئ الناقد بان يتتبع الجذور العميقة للأخلاق البشرية لفهم الغاية من وجودها في حياة الإنسان ومجتمعاته، وبذلك بأخذ القارئ بعيدا عن المحافل المعتادة التي تُناقش فيها الأخلاق كالفلسفة والاجتماع والدين وسواها. هذه الكتب تؤسس لعلم الاخلاق كعلم خاضع للطريقة العلمية.

Moral Origins: The Evolution of Virtue, Altruism, and Shame, Christopher Boehm.

Super Cooperators: Altruism, Evolution, and Why We Need Each Other to Succeed, Martin Nowak, Roger Highfield.

The Evolution of Morality, Richard Joyce.

The Science of Good and Evil: Why People Cheat, Gossip, Care, Share, and Follow the Golden Rule, Michael Shermer.

Our Inner Ape: A Leading Primatologist Explains why We are who We are, Frans de Waal.

Primates and Philosophers: How Morality Evolved, Frans de Waal, Stephen Macedo, Josiah Ober.

The Moral Landscape: How Science Can Determine Human Values, Sam Harris.

The Bonobo and the Atheist: In Search of Humanism Among the Primates, Frans de Waal.

Evolution, Games, and God, The Principle of Cooperation, Martin A. Nowak, Sarah Coakley.

The Origins of Virtue: Human Instincts and the Evolution of Cooperation, Matt Ridley.

The Moral Animal, Robert Wright.


أنا أفكر
iThink
magazine مجلة

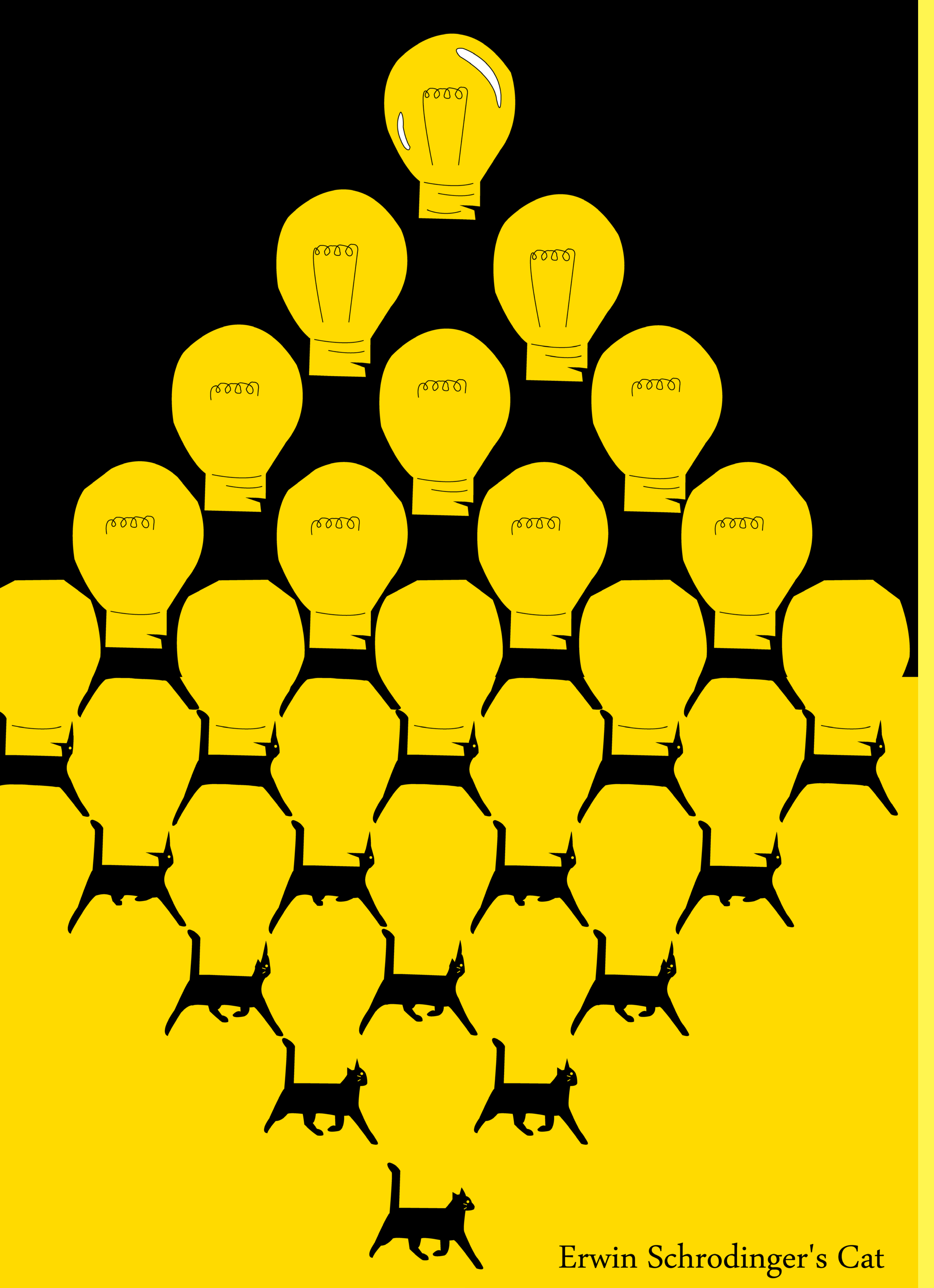
تجربة قطة شرودنغر...و قصة التنكولوجيا ... ما نسبتها لشرودنغر بشكل مباشر

Grace Kanawati

من هو شرونغر ؟
اروين شرودنغر ولد في فينا بعام ١٨٨٧ و حاصل على جائزة نوبل في الفيزياء لعام ١٩٣٣
معروف بأعماله في الفيزياء الكمية و من أشهر تجاربه هذه التجربة التي اجراها على قطة حتى يبين الخطأ في تفسير كوبنهاغن
ما هو تفسير كوبنهاغن ؟
هو من اول المحاولات العامة لتفسير عالم الذرة كما يقدمه لنا فيزياء الكم
اول اباء فيزياء الكم كان طبعا نيلز بور الذي قسم الذرة لمكوناتها التي نعرفها اليوم
و لكن هايزينبيرغ (صاحب مبدا عدم التعيين) و ماكس بورن وضعا ايضا بصماتهما في هذا التفسير
هايزينبيرغ كان مساعد بور في كوبينهاغن و وضعوا التفسير في عام ١٩٢٠ ، ببساطة التفسير يقترح ان الشيئ يكون في حالة من جميع الاحتمالات بنفس الوقت حتى نقوم بعمل مشاهدة عليه و نعرف حالته.
شرودنغر كان لديه بعض المشكلات مع تفسير كوبنهاغن و لذلك علينا القول ان القطة ميتة و حية بان واحد !
عندما نفتح الصندوق نستطيع ان نحدد عندها حالة القطة عند مشاهدتنا لها ، حتى نقوم بالمشاهدة فان القطة في حالة مختلطة من الموت و الحياة !
مع اني عمليا بعتقد ان التجربة فاشلة ، لانو اثبتت التجارب انو لا يمكن حبس قطة في صندوق رغما عنها لمدة ٥ دقايق بعدا رح تطلع و تنتقم منك بابشع الطرق :^
هذا يبدو مستحيلا ، وهذه كانت فكرة شرودنغر ، و لهذا ترك فيزياء الكم المزعجة فلسفية و اتجه الى البايولوجي .
بالرغم من ان الموضوع يبدو مستحيلا و لكن قطة شرودنغر حقيقية جدا و مهمة جدا ، اذا لم يكن ممكنا للاجسام تحت الذرية ان تكون في حالتين في نفس الوقت فان الجهاز الالكتروني الذي تقرأون منه لن يكون موجودا اصلا ....
هي شكل من اشكال الطبيعة الثنائية (عنصر –موجة) لكل شيء في الظاهرة الكمية **superposition** .

حتى يكون للعنصر طول موجة ، فانه يجب عليه ان يتمدد ليشغل حيزا من الفضاء و الذي يعني انه سيتخذ الكثير من الوضعيات في ان واحد و جادل ان هذه الحالات المختلطة من الاحتمالية هي غير واقعية اذا طبقت على الاجسام الكبيرة التي نراها حولنا في حياتنا اليومية

و فكر بتجربة تثبت وجهة نظره
الصندوق يحوي القطة و لا نستطيع ان نرى من خلاله و لا ان نرصد اية اشعاعات
في داخل الصندوق وضع شرودنغر الية تقتل القطة باحتمال ٥٠–٥٠٪
الالية هي القليل من مادة مشعة يمكن ان تتفكك اشعاعيا او يمكن ان لا تتفكك اشعاعيا خلال مدة التجربةو التي هي ساعة من الزمن
موجود في الصندوق ايضا عداد يستطيع استشعار الراديو اكتيفيتي المنطلق من انوية المادة المشعة و عندما يستشعرها يتسبب بهبوط مطرقة و كسر زجاجة تحتوي على غاز السيانيد السام مسببة بقتل القطة . بما ان الصندوق مغلق فلا يوجد اية طريقة لمعرفة ازا كانت القطة حية او ميتة بداخله
نحن لا نرى الموجات للأجسام الكبيرة من حولنا لان طول الموجة يقل كل ما زاد ال **momentum** اي العطالة (زخم الحركة)
و الزخم يساوي الكتلة ×السرعة
الزخم و طول الموجة لهما علاقة عكسية كلما زاد احدهما يقل الاخر
و لهذا فإننا لا نستطيع رصد طول موجة الاجسام الكبيرة او السريعة لان حاصل ضربهما =زخم الحركة الذي سوف ينقص طول الموجة الاحتمالية لدرجة يتعذر علينا قياسها لصغرها الشديد
بالمقابل فان طول الموجة الاحتمالية للإلكترون يمكن رصدها
حالة السوبر بوسيشن هذه قادتنا الى التكنولوجيا الحديثة اليوم الالكترون بالقرب من نواة الذرة يوجد في مجموعة منتشرة من المدارات الموجية ، عندما نقرب ذرتين من بعضهما فان الالكترونات تتشارك الذرتين و لا تختار احدهما ، و هكذا تتشكل بعض الروابط الكيميائية
و الالكترون في جزيئ ليس فقط في مدار حول الذرة **A** او الذرة **B** و انما حول الذرتين **A&B** معا
عندما نزيد عدد الجزيئات فان الالكترونات تتشارك جميع الذرات ، الالكترونات في مكون صلب ليست مقيدة بذرة معينة و انما تتشارك بها جميعا
و بتطبيق هذا الكلام على اجسام اكبر مكونة من ذرات فان السوبر بوزيشين يحدد الطرق التي تتحرك بها الالكترونات ضمن المادة



اذا كان الجسم ناقل او عازل او نصف ناقل ، فهم كيف الالكترونات تشترك بين الذرات تسمح لنا التحكم بدقة بنسب خاصية (النصف نقل للمواد)
مثل السيليكون ، جمع عدة انصاف نواقل بطريقة صحيحة ، سمح لنا بتصنيع **transistors** بابعاد صغيرة ، الملايين منهم موجودون في الرقاقة الالكترونية في جهازك اللاب توب او الموبايل.
الانترنت مليء بفيديوهات القطط و صورهم (الكيوت) ففي مستوي عميق الانترنت يدين بوجوده لفيزيائي و قطته التخيلية
و فعلا اتضح ان شرودنغر كان لديه قطة اسمها ميلتن في بيته باوكسفورد الذي كان يقيم به مع زوجته و عشيقته بنفس الوقت (حالة كمومية مستعصية)

هذه التجربة وضعت اصلا انتقادا لتفسير كوبنهاغن ولكن هذا التناقض في تفسير كوبنهاغن موجود في الفهم الخاطئ له فقط
عندما نتعامل مع ذرة مشعة ، النواة في وسط الذرة حيث بعض الانوية تكون مشعة و تقوم بما نسميه **radioactive decay** تفكك مشع
و نحن لا نستطيع ان نحدد موضع الجزيئات تحت الذرية و سرعتها بان واحد ، لذلك يمكن لاي نواة ذرة ان يحصل لها تفكك اشعاعي او لا يحصل
و لهذا مدد شرودنغر التجربة ليقول انه بحسب كوبنهاغن
نواة الذرة متفككة اشعاعيا ٥٠٪
غير متفككة اشعاعيا ٥٠٪
لذلك القطة ٥٠٪ حية
٥٠٪ ميتة
الخطأ يكمن بتعريفنا للمراقبة (المشاهدة)
المشاهدة عملية فعلية في الصندوق و المراقب ليس الفيزيائي و ليس القطة و انما عداد غايغر و يبقي الموجة الاحتمالية
١٠٠٪ حية
١٠٠٪ ميتة
القطة حية الى ان تموت
شو رأيكن ؟ ؟ ؟

تجربة تحاكي اصطدام نيزك بالأرض أنتجت ما قد يكون شرارة الحياة الأولى.

ibelieveinsci.com

قام علماء باستخدام ليزر عالي الشدة إعادة خلق ما قد يكون الشرارة الأصلية للحياة على الأرض ، حيث قاموا بتسخين طين و حساءٍ كيميائي بواسطة الليزر لمحاكاة الطاقة الناتجة عن اصطدام نيزك بالأرض بسرعة و انتهوا بهذه التجربة بخلق ما يُمكن اعتباره حجراً أساسياً في بدء حياة على سطح الأرض.
هذه النتائج لا تُثبت بالضرورة أنّ هذه هي الطريقة التي بدأت بها الحياة على الأرض قبل حوالي ٤ مليار عام ، و بعض العلماء لم يبدِ اهتماماً بها ، لكن التجربة تدعم الفرضية القديمة لظهور الحياة على الأرض.
"هذه الإكتشافات تبيّن أن ظهور الحياة لم يكن نتيجة حادث عرضي بل نتيجةً للظروف على سطح الأرض في تلك الفترة" هذا ما أورده الباحثون في الدراسة المنشورة في دوريّة Proceedings of the National Academy of Sciences.
عملية التسخين بالليزر أنتجت القواعد الكيميائية الأربعة اللازمة لصنع الـ RNA ، و من هذه القواعد هناك عدّة خطوات تالية ما تزال مجهولة حتّى الآن حتى تبدأ الحياة لكن كبداية فما توصّل إليه البحث مهمٌ جداً في عملية بدء الحياة.
استطاع العلماء صنع الـRNA بطرق أخرى مثل استخدام مزيج من المواد الكيميائية و ضغط ، لكن هذه التجربة الأولى التي اختبرت الفرضية القائلة بأنّ اصطدام فضائي يُمكنه أن يثير هذا التفاعل الكيميائي المهم بحسب تصريح قائد البحث Svatopluk Civis من معهد Heyrovsky للكيمياء الفيزيائية في براغ ، جمهورية التشيك.
استخدم العلماء جهاز ليزر طوله حوالي ١٥٠ متراً سخّن لأجزاءٍ من الثانية الحساء الكيميائي بشعاعٍ مرئي. الطاقة كانت شديدة و مركّزة لدرجة أنّها في

جزء من مليار من الثانية ولّدت طاقة تُعادل ما تنتجه عدّة محطات للطاقة النووية بحسب Civis.
و قد أُنتج في تلك البرهة من الزمن ما يعادل مليار كيلوواط فيما لا يتجاوز جزءاً من إنش و حرارة أكثر من ٧٦٠٠ درجة فهرنهايت (٤٢٠٤ درجة سيلزيوس). "بعض أشكال الحياة الأولى تتزامن مع ما يُعرف بعصر القصف الشديد المتأخر Late Heavy Bombardment حين كان حزام الكويكبات أكبر ممّا هو عليه الآن و حين كانت الصخور الشاردة في الفضاء تصطدم بكوكبنا بمعدلٍ أعلى من معدل اليوم" بحسب David Nesvorny باحثٌ مشاركٌ في الدراسة و عالمٌ بالكواكب.
في تلك الفترة كانت الكويكبات و المذنبات تصطدم بالأرض بمعدلٍ أعلى بعشر مرّات من المعدل قبل تلك الفترة و بعدها.
و ينقسم العلماء بآرائهم حول نتائج هذه الدراسة.
فـSteve Benner و هو عالمٌ بارزٌ في الكيمياء و البيولوجيا يرى أنّ الدراسة ذات أهمية فهي أنتجت مواد بدأت الحياة على الأرض.
أمّا John Sutherland من مختبر MRC للبيولوجيا الجزيئية في كامبردج فيرى أنّ كمية المواد التي نتجت عن التجربة قليلة و لا يبدو أنّها ذات أهمية ، و قلل علماءٌ آخرون من أهمية التجربة.
و هناك فرضية أخرى بديلة لبدء الحياة على الأرض و هي أنّ الحياة الميكروبية أتت وافدةً إلى الأرض من الفضاء على متن نيزك أو كويكب ارتطم بالأرض ، في حين هذه التجربة تدعم الفرضية الأخرى القائلة بأنّ كلّ هذه التفاعلات الحيوية تحتاج إلى طاقة هائلة ناتجة عن اصطدام نيزك أو كويكب تؤدي إلى كسر الروابط بين الجزيئات و تحوّلها إلى مركبات أبسط و أقل تعقيداً و تلك المركبات الأبسط يمكن أن تندمج مجدداً في مركبات أكثر حيوية ، و يُعتقد أن حادثة اصطدام النيزك التي قد تكون أطلقت شرارة الحياة على الكوكب هي مشابهة لتلك التي أدت إلى القضاء على الديناصورات

صيغة مختلفة لسورة الفاتحة

د.آرثر جيفري (بروفيسور في اللغات الساميّة, معهد الدراسات الشرقية, القاهرة)

إن السورة الأولى من القرآن تحمل في صورتها الدليل على أنها لم تكن في الأصل جزءا من النص, بل دعاء قد ألف لأجل أن يوضع في بداية المصحف المجموع, ولكي يتلى قبل قراءة الكتاب, وهي عادة نجدها غير غريبة إن نظرنا إلى الكتب المقدسة الأخرى للشرق الأدنى. إن الأسلوب القرآني, من بداية القرآن إلى نهايته, يصور الله مخاطبا الإنسان, كما هو معروف جيدا . إلا أنه في الفاتحة نجد أن الإنسان يخاطب الله, والتفسير الشائع الذي يقول أنه يجب أن تفهم كلمة "قل!" في بدايتها هو , وبشكل واضح, ناتجا عن الرغبة في جعل هذه السورة منسجمة مع أسلوب باقي القرآن. بالإضافة إلى ذلك, فإننا عندما نفحص السورة, نجدها , بشكل أو بآخر, مختارات من الأفكار والتعابير المأخوذة من أجزاء أخرى من القرآن. بالطبع, إن من المحتمل أنها كدعاء قد صيغت من قبل النبي نفسه, إلا أن استخدامها وموقعها في قرآننا الحالي يعود إلى الجامعين, الذين وضعوها هناك, ربما على الصفحة الواقية (البيضاء في أول الكتاب. المترجم) من المخطوطة القياسية. إن تقسيمها إلى سبع آيات حسب التقليد الإسلامي "القويم" قد أسس للفكرة التي تقول أنها ألفت كنظير إسلامي للصلاة الربانية (صلاة "أبانا الذي في السماوات" المسيحية, المترجم).

لقد لوحظت الطبيعة المميزة للفاتحة من قبل الباحثين الغربيين(1) منذ نولدكه فما بعده, إلا أنه ليس رأيا غربيا معاديا فحسب, لأن فخر الدين الرازي(2) قد ذكرأن أبي بكر الأصم (313)(مصدر3) كان يقول أنه لا يعتبرها (الفاتحة) جزءا من القرآن ويبدو أن أقدم التفاسير تبدأ بسورة البقرة. إن من المعروف أيضا أن الفاتحة لم تضم إلى مخطوطة ابن مسعود(4). ويقال أن بعض المخطوطات الكوفية المبكرة للقرآن قد وجد أنها تستهل بالسورة الثانية, وأنها إن كانت تحتوي الفاتحة فإنها توجد في النهاية فقط, إلا أنني لم أرى

إطلاقا مثالا على ذلك.

إذن يجب علينا أن لا نتفاجأ إن وصلتنا سورة الفاتحة بأشكال مختلفة نوعا ما. أحد هذه الأشكال المختلفة قد تناقلته المصادر الشيعية لفترة طويلة. ففي كتاب "تذكرة الأئمة" لمحمد باقر المجلسي (طبعة طهران, 1331, ص. 18) نجد:

نُحَمِّدُ اللهَ ربَّ العالَمِينَ* الرَّحمَنَ الرَّحِيمِ* مَلَّكَ يَوْمَ الدِينِ* هَيَّاكَ نَعْبُدُ وُوَيّاكَ نَستَعِينُ* تُرْشِدُ سَبِيلَ الْمُستَقِيمِ* سَبِيلَ الذينَ نَعَّمتَ عَلَيهِمْ* سِوى الْمَغْضُوبِ عَلَيهِم ولا الضَالِينَ*

والتي تترجم (بالإنجليزية) هكذا:

,We greatly praise Allah, Lord of the worlds
,the Merciful, the Compassionate
.He who has possession of the Day of Judgement
.Thee do we worship, and on Thee do we call for help
,Thou dost direct to the path of the Upright One
,The path of those to whom Thou hast shown favor
Not that of those with whom Thou are angered, or those who go astray

لقد صادفت في الصيف الماضي في القاهرة نسخة مختلفة بشكل مشابه. لقد كانت موجودة في كتيب في الفقه, كانت بدايته مفقودة, للأسف, لذلك ليس بإمكاننا أن نعرف اسم المؤلف.

إنه مختصر غير مهم لفقه الشافعي, قد كتب قبل حوالي مائة وخمسين عاما, أو قبل ذلك بقليل, إن كان من الممكن أن نغامر فنحكم بذلك اعتمادا على طبيعة الخط,, وذلك خط النسخ, وقد كتبت النسخة المختلفة على الغلاف الداخلي تحت عنوان" قراءة شاذة للفاتحة." إن المحطوطة توجد في مجموعة شخصية, ومع أن المالك كان راغبا في السماح لي بنسخ العبارة, واستخدامها إن وجدت ذلك ملائما, فقد كان غير راغب في أن يُفصح عن اسمه, لئلا واجه خلافا مع جيرانه المحافضين دينيا لكونه قد سمح لشخص غير مؤمن بأن يرى مثل هذه النسخة غير الشرعية من السورة الإفتتاحية لكتابهم المقدس.

إن نص هذه النسخة المختلفة فيه تشابه مع نص النسخة المذكورة آنفا, حيث يقول:

بِسْمِ اللهِ الرَحمنِ الرَحِيمِ* الحَمْدُ للهِ سَيّدِ العالَمِينَ* الرزّاقِ الرَحِيمِ* إنَّ لكَ نَعبُدُ وَإنَّ لكَ نَسْتَعِينُ* أرْشِدنا سَبِيلَ المُسْتَقِيمِ* سَبِيلَ الذِينَ مَنَنتَ عَلَيهِمْ* سِوى المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وغَيرِ الضالّينِ*

والتي بترجمتها تعني:

.In the Name of Allah, the Merciful, the Compassionate

,Praise be to Allah! Lord of the worlds

,The Bountiful, the Compassionate

,He who has possession of the Day of Judgment

,As for us, to Thee do we worship, and to Thee we turn for help

,Direct us to the path of the Upright one

,The path of those on whom Thou hast bestowed favors

,Not that of those with whom Thou art angered

Nor that of those who go astray

تحت النص نجد العبارة التالية: "رواية أبي الفتح الجبّعي عن شيخه السوسي النهرزواني عن

أبي سعدة الميداني عن المرزباني عن الخليل بن أحمد"

سنلاحظ بقرائتنا النصين: أن استبدال "سيد" ب "رب" هو مجرد حالة من استبدال بمرادف, لقد استخدمت كلمة سيد في سورة يوسف: 25 للدلالة على سيد يوسف في مصر, وفي سورة آل عمران: 39 للدلالة على يوحنا المعمدان, والذي وصف بأنه سيد, وحصور, ونبي, واستخدمت الكلمة بالجمع في سورة الأحزاب: 67 للدلالة على الرؤساء الذين اتبعهم الكفارفضلوا. إلا أنها لم تستخدم للدلالة على الله.

"الـرزاق." قد ذكرت كاسم من أسماء الله في الذاريات: 58 "إن الله هو الرزاق." "مَلَّك." هي قراءة تنسب إلى القاريء الكوفي الثالث من بين القرّاء البيعة, وهو القيسي (180), أنظر كتاب "روح المعاني" للآلوسي, الجزء الأول, ص. 78 و "البحر" لأبي حيان, الجزء الأول, ص. 20. من المثير للاهتمام أن كلا النصين المختلفين يتفقان في هذه القراءة. ربما تكون "مَلَّك" أكثر دقة من تركيزا من الأشكال البديلة مَلِك, مالِك, مَليك, والتي يعتبر الأولان منها الأكثرثبوتا, والثاني هو القراءة المقبولة.

"إن لك." إن هذه الكلمة, بالإضافة إلى هِياك, ووِياك, وأياك, وإياك التي تعتبر القراءة المقبولة, تبدوا كلها محاولات مستقلة لتفسير الصيغة الهيكلية غير المشكلة أوالمنقطة التي كانت في المخطوطة الأصلية. إن هَياك وهِياك كانت قراءة أبي السوار الغنوي (180) وأبي المتوكل (102), وقرئت "وِياك" و"وَياك" من قبل رجاء (105).

"أرشدنا" تعني نفس ما تعنيه كلمة "إهدنا" في القراءة المقبولة وكانت قراءة مخطوطة ابن مسعود (الزمخشري, وابن خالويه ص. 1)إن صيغة الأمر هذه لا توجد في مكان آخر من القرآن, إلا أن أشكالا أخرى من الجذر استخدمت بشكل شائع, والشكل الشيعي المختلف قد استخدم النوع غير التام من الشكل الرابع. "سبيل" هي كلمة أكثر شيوعا من "صراط" المستخدمة في القراءة المقبولة, وهي أكثر استخداما بكثير في القرآن, بالرغم

من أن كلا الكلمتين أجنبيتان, مقتبستان من الآرامية. إن اعتبار "سراطَ المستقيمِ" إضافة, حيث تعتبر "المستقيم" إسما لله, هو قراءة أُبي, وجعفرالصادق, وعبد الله بن عمر, لذلك فللتعبير شهادات مبكرة وجيدة لوجوده. إنها قراءة ممكنة ومناسبة, بالرغم من أن "مستقيم" ليس واحدا ن أسماء الله التسعة والتسعين. إن من المثير للاهتمام ورود تعبير "سراطَ المستقيمِ" في كلا النصين.

"مَنَنتَ" و "نَعَّمتَ" هما بديلان بسيطان استخدما كمرادفين لكون ذلك لا يؤثر على المعنى. إن الصيغة الرابعة من المصدر الثلاثي "نعم" هو أكثر استخداما من الصيغة الثانية, والتي استخدمت مرة واحدة في سورة: الفجر: 15, إلا أن "منَّ" التي تحمل نفس المعنى هي أكثر استخداما من ذلك.

"سوى" و"غير" هو استبدال مشابه مرادف, بالرغم من أن "سوى" لم تسنخدم في موضع آخر في القرآن.

"غير" بدل "لا"كانت قراءة عمر, وعلي, وأُبي, وابن الزبير, وعكرمة, والأسود من بين القراء المبكرين, وقد دعمت من قبل جعفر الصادق وزيد بن علي, لذلك فللكلمة الحق في أن يُدعى أنها القراءة الأصلية مدعومة من سلطان ذات مكانة. وهي لا تغير في المعنى.

يلاحظ أن معنى سورة الفاتحة هو نفس الشيء بالضبط سواء استخدمنا القراءة الأصلية أو أي من هذه القراءات المختلفة. ليس هنالك من سبب محدد للقراءات المختلفة. هي ليست تغييرات وجدت لصالح صياغة نحوية أكثر دقة أو من أجل الوضوح, كما أنها لا تحتوي على أي مغزى عقائدي. إنها فقط الصيغ المختلفة التي يتوقعها المرء خلال نقل دعاء قد حفظ في البدء بشكل شفهي , ومن ثم ثبّت عند جمع القرآن.

إن الصيغة المختلفة الثانية قد أتتنا عن طريق الخليل بن أحمد, والذي, باعتباره قارئا, كان منتميا إلى مدرسة البصرة بالرغم من ما يقال عن كونه قد أخذ الحروف من عاصم الكوفي وابن كثير المكي, من بين القراء السبعة, بل أنه قد ذكر أنه من نقل الصيغة المختلفة "غير" من ابن كثير (ابو حيان, "البحر", 298. ابن الجزري, "الطبقات,"ج. 1, ص 177, 275. ابن خالويه, ص. 1). إلا أنه قد عُرف أنه قد نقل عن عيسى بن عمر (149)(ابن خلكان, ج. 2, ص. 420) وأنه كان تلميذا لأيوب السختياني (131), وكان كلاهما بصريين ومعروفين بنقل القراءات الشاذة. لذلك فمن المحتمل جدا أنه قد كان للخليل منفذ إلى تقليد قديم جدا في قراءة الفاتحة. لا استطيع الاستفادة من باقي الإسناد من الخليل إلى الجُبّعي, ومن الممكن أن يكون بعد الخليل بكثير.

المصادر

1- نولدكه-شوالي, تأريخ القرآن, ج. 1, ص. 110

2- مفاتيح الغيب, ج. 5, ص. 281.

3- ابن الجزري, الطبقات, العدد 3943 (ج. 2, ص. 404). لقد كان إمام مسجد واسط, وكان حجة في إسناد القاريء الكوفي عاصم, وأحد معلمي أبي بكر النقّاش.

4- أبو عبيد, "الفضائل," ص. 434. إن كون ابن مسعود عارفا باستخدام سورة الفاتحة في العبادات, كان واضحا بالرغم من ذلك, منستطيع أن نعرف ذلك ليس فقط من القصة التي أتتنا من الأعمش (148) والتي تقول ان ابنم مسعود قد سؤل عن سبب عدم ضمه الفاتحة لمخطوطته, فأجاب أنه لو كان قد ضمها لمخطوطته لكان عليه أن يضعها في أول كل سورة (القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج. 1, ص. 115). إن هذا القول يبين بشكل واضح أنه قد اعتبرها قطعة تعبّدية يجب أن تتلى قبل قراءة القرآن. إن النسخ المتأخرة من مخطوطة ابن مسعود, والتي نسخت بع جيل أو جيلين, أضافت الفاتحة إلى البداية (الغتقان, ص. 152, 187. الفهرست, ص. 26).

مجلة العالم الإسلامي, المجلد 29 (1939), ص ص. 158-162.


أنا أفكر
iThink
magazine مجلة

أكثر ٦ معلومات خاطئة عن الدماغ يتمّ تداولها على أنها حقائق

من موقع أنا أصدق العلم

٦– الكحول تقتل خلايا المخ.

ما تسمعه هو:

الكحول تقتل خلايا المخ، وهذا سبب أن (هومر سيمبسون Homer Simpson) –شخصية كارتونية– يصبح أكثر غباءا كل موسم، وهذا كان تحذير والدتك لك حينما كنت صغيرًا: كل كمية كحوليات تشربها تقتل حوالى مليون من خلايا المخ، وتجعلك أغبى بشكل دائم.

الحقيقة هى:

الاسراف فى تناول الكحول يتسبب فى أضرار كاملة على كل عضو من جسدك، وفى الحقيقة فإن المخ ليس واحدا منهم؛ الكحول لا يجعلك أكثر غباءا إذا شربت منه بشراسة، بل ربما يجعلك شخص أعنف. الفكرة كلها حول أن الكحول يدمر عقلك، تعود فى حقيقتها إلى حركة الإعتدال temperance movement فى أمريكا فى حوالى عام ١٨٣٠؛ فباستخدام استراتيجية " لا بأس من أن تكذب، طالما أن هناك سبب وجيه" زعم الكتّاب فى ذلك الوقت أن الكحول سيفعل بك أي شيء ليدمر مخك؛ ليجعلوك تتوقف عن الاسراف فى الشرب، وإذا كان ذلك صحيحا؛ فإنه سيتسبب فى فقدانك عدد بسيط من خلايا المخ. الكثير من الناس يعتقدون ذلك، ولذلك يبدو من الشائع أن البيرة تدمر المخ، ولكن هل سبق لك وأن رأيت شخص سكيرا؟ هل استمعت لنكاته؟ ومع ذلك، ووفقا لدراسات علمية؛ فإن البلادة المصاحبة للثمالة ليس لها علاقة بموت خلايا المخ، وكل ما يقوم به الكحول هو أنه يمنع خلايا المخ من القيام بعملها، مما يعوق الإدراك ووظيفة الحركة. حقيقة أخرى مُربكة وهى أن هناك اضطراب فى الدماغ مرتبط بادمان الكحول، وتسمى بمتلازمة فيرنيك كورساكوف Wernicke–Korsakoff، التى قد تجعلك أبكما، وتدمر الذاكرة الخاصة بك. ولكن فى الواقع هذا لا يحدث بسبب الكحول؛ وإنما بسبب

سوء التغذية الناجم عن حقيقة أن الكحول غالبا ما يفسد النظام الغذائى؛ لأن الخمر تقتل الشهية. وبطبيعة الحال فإن مقولة " الكحول يقتل خلايا المخ " تقترن دائما بالأساطير.

٥– لا يمكن أن تنمو خلايا المخ مرة أخرى بعد موتها، فهى قد ماتت!

ما تسمعه هو:

قصة أن الكحول –أو أى شيء آخر– تقتل خلايا المخ كانت مرعبة؛ لأنك تسمع دائما أن خلايا المخ لا تنمو مرة أخرى. عندما كنت تمتطي أخاك كالحصان وتخبط رأسك بمنضدة القهوة؛ فأنت قد خسّرت نفسك نقطة أى كيو IQ point كاملة –مقياس للذكاء– ولن يمكنك استردادها أبدا. يمكنك أن تتفاخر بعدد المرات التى ركلت بها كرة القدم برأسك، ثم تلوّح مودعا للجامعة.

الحقيقة هى:

أولا، تُظهر دراسات من أواخر التسعينيات أن أدمغة الأشخاص البالغين تحتوى على خلايا جذعية، وهذه الخلايا يمكن أن تتحول إلى نوع آخر من الخلايا عند الحاجة، بما فى ذلك خلايا المخ؛ فعند تلف خلايا المخ، تقوم هذه الخلايا بإعادة بناء ما تم تدميره.

وعلاوة على ذلك، فإن المخ بارع للغاية فى ترميم نفسه، حتى أنه يمكنه إصلاح نفسه بعد الإصابة بحدث كبير مثل: السكتة الدماغية stroke؛ فيخلق بسرعة أوعية دموية جديدة لاستعادة تدفق الأكسجين، ويعيد توصيل خلايا المخ (تسمى الخلايا العصبية neurons) للعمل بعد حصار الأنسجة الميتة. الخلايا العصبية تتولد باستمرار من خلال عملية تسمى تكوين الخلايا العصبية neurogenesis، ويمكن ترحيلها إلى أى مكان فى الدماغ يكون فى حاجة إليها.

٤– العقاقير مثل عقار النشوة قد تُحدث ثقوبا فى المخ.

ما تسمعه هو:

بالعودة إلى عام ٢٠٠٠، حيث أجرت شبكة MTV التليفزيونية تقريرا عن

عقاقير النشوة **Ecstasy**، فقاموا بعمل مقارنة بين دماغى فتاتين، واحدة منهن كانت تتعاطى المخدرات، وأظهرت الصورة المرعبة تغضن وانكماش المخ كما لو كان يبدو مثل قطعة من الجبن السويسرى.
وحتى لا يكون السبق وحده لشبكة **MTV**، قامت (أوبرا وينفرى **Oprah Winfrey**) بالقفز على الحدث، وأجرت حلقة خاصة عن عقاقير النشوة **Ecstasy**، والتى أشارت بطريقة هيستيرية إلى أنها تسبب ثقوبا فى المخ، بعدما عرضت صورا لمسح الدماغ نفسه، ولأن الجميع يستمعون إلى (أوبرا **Oprah**) ولسبب خطير أصبحت الأسطورة راسخة فى الوعي الثقافي. الحقيقة هى:
لا يجب أن تندهش كثيرا من أن كلا من أوبرا **Oprah** والمنتجين فى شبكة **MTV** قد أساؤا فهم صور مسح الخلايا العصبية للمخ؛ لأنك لن تطلب مساعدة أحدهم فى إعادة تأهيلك من إصابتك بالسكتة الدماغية.
هذه الصور هى فى الواقع خرائط تدفق الدم فى الدماغ، وما يسمى بـ " الثقوب " هى مجرد مناطق انخفاض الدورة الدموية، حيث أظهرها الكمبيوتر كما لو أنها تجاويف جوفاء. لا يوجد أى ثقوب فى مخ الفتاة، وحتى هذا الانخفاض فى الدورة الدموية ليس له أى علاقة بتعاطى المخدرات.

٣- سأصبح كبيرا فى السن؛ إذا فإن مخي لن يبقى على ما هو عليه.

ما تسمعه هو:

من الشائع جدا أن المخ يتدهور مع التقدم فى السن، وهذا هو سبب أن جدك يصبح كثير النسيان، ويشير للتلفاز على أنه اللاسلكي، ويناديك باسم والدك. كما أن هذا هو سبب كونه غريب الأطوار طول الوقت، ويشكو كثيرا عندما يُحدث أحدهم ضجيجا؛ فمجرد التقدم فى السن قد أدى إلى تدهور المخ، ولا يمكنه التعامل مع حمى العالم الحديث.
الحقيقة هى:
بغض النظر عن هؤلاء الذين يعانون بالفعل من اضطرابات عقلية، مثل الخرف **dementia** أو مرض الزهايمر **Alzheimer**؛ فإن كبار السن لديهم بالفعل أدمغة أفضل من بقيتنا. ومن المفارقات؛ أن هذا ما يجعلهم يبدون كالأغبياء،

فأدمغتهم تنتبه إلى مجموعة كبيرة من المعلومات التى لا يستطيع مخك الغبى نسبيا مجرد ملاحظتها.
كما اتضح أنه وعلى الرغم من أن الجسم يتدهور بالتقدم فى السن، إلا أن الدماغ يصبح أكثر وضوحا. وقد أظهرت الأبحاث أنه كلما تقدمت فى السن، كلما زادت المعلومات التى تحصل عليها من حولك. ونتيجة لذلك؛ فإن كبار السن هم فى الواقع الأفضل فى حل المشاكل، على الرغم من أنهم قد يصبحون بخلاء وأسخياء فى نفس الوقت؛ بسبب الكم الهائل من المعلومات التى تحملها أدمغتهم.

٢- تحصل على تجاعيد مخية جديدة كلما تعلمت الأشياء.
ما تسمعه هو:

فى مرحلة ما، ربما سمعت أحدهم يحاول أن يخبرك أن عدد التجاعيد فى مخك لها علاقة بمقدار ذكائك. أو ربما سمعت شخصية (دونالد جلوفر **Donald Glover**) فى مسلسل **Community**، يدّعى أن الإلهام المفاجئ يزيد تجاعيد مخه.
هذا منطقى نوعا ما، حيث يصبح مخك فى حاجة إليها كلما تعلمت أكثر، ولكن لأنه مكتظ داخل جمجمتك؛ فهو ينطوى على نفسه كلما نمى أكثر، وإلا فلماذا يبدو مخك كما لو أنه يتمرغ فى حوض استحمام منذ ستة أسابيع؟
الحقيقة هى:
بمجرد مولدك؛ فإن مخك متجعد كما سيكون فى أى وقت لاحق، باستثناء بعض أنواع الجراحات التجميلية على المخ.
إذا لماذا المخ مجعد هكذا؟ من الحزن أن نقول أنه لا أحد يعرف السبب حقا، ولكن هناك نظرية رائدة تقترح أنه قد يكون لتجاعيد المخ علاقة بامتصاص الصدمات. وقد أظهرت نماذج الكمبيوتر أنه إذا كان مخك أملس؛ فأنت سوف تعانى أضرارا كبيرة عندما تصطدم رأسك بأى شيء.
ومرة أخرى يعتقد بعض العلماء أن الحيوانات الأكثر تقدما مثل القرود، لديها تجاعيد أكثر فى أدمغتها؛ لأنها تسمح للاتصالات العصبية كى تكون أكثر سرعة. مساحة سطح المخ كبيرة، لذا فهو لديه المزيد من الخلايا العصبية



للتعامل مع مشاكل القرد أو ربما كلاهما. لكن بالتأكيد؛ لا تحصل على المزيد من التجاعيد المخية كلما تعلّمت أكثر.

١- عجبا، إنه ذكي! تحقق من الدماغ الكبير لهذا الشخص.
ما تسمعه هو:

العديد من جداتنا قالت أن الجمجمة الكبيرة لحفيدها قد تعنى أنه ربما يصبح عبقريا. كلا، أيتها الجدة الحمقاء، هذا مجرد طفل قبيح. قد افترض الناس على مر العصور أن حجم الدماغ لديه بعض الارتباطات مع الذكاء، ولهذا السبب كان يتم تصوير الناس الأذكياء فى ثقافات الشعوب أن رؤوسهم ضخمة بصلية الشكل، بينما الناس الأغبياء لديهم أدمغة صغيرة مثل حبة البازلاء.
الحقيقة هى:
أحد الأدلة على ذلك: البشر لا يملكون أكبر دماغ فى مملكة الحيوان؛ فالجائزة تذهب إلى حوت العنبر **sperm whale**، الذى يزن رأسه فى الواقع حوالى ٩ كجم (هذا أكبر بقليل من ستة أضعاف حجم دماغ الإنسان). الدلافين أيضا لديها أدمغة أكبر منا، فهل يجعلها هذا أكثر ذكاءا؟ متى كانت آخر مرة هبط فيها دولفين على سطح القمر؟
الحقيقة هى أن حجم الدماغ ليس له علاقة كبيرة بالذكاء، وهذا سبب أن الفئران يمكنها عبور المتاهات، بينما تستمر الحيتان فى الوقوع فى شباك الصيد. ما يهم ليس الحجم، ولكن ما يمكنك أن تفعل به؛ فأنت لن تصبح أكثر ذكاءا عن طريق مبادلة دماغك بدماغ فيل كبير؛ فقط ستبدو مثل شخص أحمق يحاول التقاط الأشياء بأنفه. فكما اتضح أن حجم الدماغ يرتبط إلى حد كبير بمدى ضخامة الحيوان.
وعلى مستوى الأفراد بين البشر؛ فحجم الدماغ ليس له أى تأثير مرئى على اختبارات الذكاء المعيارية **standardized intelligence tests**، وعلى الرغم من الادعاءات المشبوهة بأن الرجال أكثر ذكاءا من النساء؛ لأن لديهم أدمغة أكبر فى المتوسط، فإن متوسط الذكاء بين الرجال والنساء هو بالضبط نفس الشئ. الرجال لديهم حوال ٤ مليارات خلية مخية أكثر من النساء، ولكن ليس هناك أى تغيير ملموس فى الذكاء.



عيشوا سعداء ...